مجلة التعليمية
ISSN: 2170-1717
EISSN 2602-6015
المجلد 12 / العـــدد: 02 (2022)، ص 573-586

كُتُبُ النّحْوِ: مُشْكِلاتُها المَنْهَجِيَّةُ، وَعُيوبُ مُحْتَوَياتِها

Grammar books: Their methodological problems, and the defects of their content

عليّ.كَشْرود*
جامِعَةُ الجزائر 2 "أبو القاسِمِ سَعْدُ اللّهِ".
alikachroud67@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/08/02 تاريخ القبول: 2022/11/12

ملخص:

تَتَضَمَّنُ ورَقَتُنا البَحْثِيَّةُ الَّتِيْ تَبَنَّيْنا فيها المَنْهَجَ الوَصْفِيَ–التّحْليلِيَّ، دِراسَةً نَحْوِيَّةً نُثيرُ فِيْ ظِلِّها جُهودَ النُّحاةِ القُدامى وَالمحْدَثينَ فِيْ إدْخالِ التّعْديلاتِ اللاَّزِمَةِ على كُتُبِ النّحْوِ بِغَرَضِ تَيْسيرِ تَعْليمِيَّتِهِ بَعْدَ أنْ أَحْصى الباحِثونَ وَالدَّارِسونَ لِلنَّحْوِ العرَبِيّ عِلَلاً وَعُيوبًا كانَتْ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ سَبَبًا فِيْ صُعوبَتِهِ، وَتَعْقيدِهِ، بَلْ وَحَتَّى فِيْ جُمودِهِ، الأمْرَ الَّذِيْ أَرْهَقَ اللُّغَةَ، وَوَقَفَ حائِلاً دونَ اِزْدِهارِها، وَنَمائِها، وَتَجَدُّدِها نَظَرًا لِارْتِكازِ الصّناعَةِ النّحْوِيَّةِ على الفَلْسَفَةِ اليونانِيَّةِ، وَالمَنْطِقِ الأَرِسْطِيّ، فَنَشَأَتْ بِذلِكَ المدارِسُ النّحْوِيَّةُ، وَاتَّسَعَتْ دائِرَةُ الخِلافِ بَيْنَ النُّحاةِ، وَاشْتَدَّ الصِّراعُ بَيْنَهُمْ حَتَّى عَجَّتْ كُتُبُ النّحْوِ بِبَعْضِ العُيوبِ، مِثْلُ: كَثْرَةُ الأَبْوابِ النّحْوِيَّةِ وَتَداخُلُها، وَالتّفْريعاتُ الكَثيرَةُ، وَتَعَدُّدُ وُجوهِ الإعْرابِ، وَالإغْراقُ الشَّديدُ فِيْ القِياسِ وَالتّأْويلِ، وَاضْطِرابُ العَناوينِ، وَصُعوبَةُ اللُّغَةِ الَّتِيْ قُيِّدَتْ بِها مَضامينُ النّحْوِ، وَالتِّكْرارُ، وَالحَشْوُ، وَغِيابُ الأَهْدافِ وَالغاياتِ عِنْدَ التّأْليفِ، وَالتّضْييقُ فِيْ مَصادِرِ الاِسْتِشْهادِ، وَتَوْسيعُ الفَتْرَةِ الزَّمَنِيَّةِ لِلاِحْتِجاجِ، وَعَدَمُ ثَباتِ القَواعِدِ النّحْوِيَّةِ لِاعْتِمادِها على الشِّعْرِ الَّذِيْ يَدْخُلُهُ التّغْييرُ وَالتّأْويلُ، وَعَدَمُ الثَّباتِ بِسَبَبِ الجَوازاتِ الشِّعْرِيَّةِ فيهِ، وَتَأَثُّرُ النّحْوِ بِالمَناهِجِ الفِكْرِيَّةِ الأُخْرى، مِثْلُ: المَنْطِقُ، وَعِلْمُ الكَلامِ، وَالفَلْسَفَةُ. وَفِيْ ضَوْءِ هَذِهِ العُيوبِ وَالمشْكَلاتِ فِيْ كُتُبِ النّحْوِ، اِجْتَهَدَ النُّحاةُ القُدامى فِيْ البَحْثِ عَنْ وَسيلَةٍ لِتَيْسيرِ النّحْوِ، فَأَلَّفُوا المخْتَصَراتِ، وَالمَنْظوماتِ، وَالشُّروحِ.

الكلمات المفتاحية: تَداخُلُ الأَبْوابِ النَّحْوِيَّةِ؛ اِضْطِرابُ العَناوينِ؛ التَّفْريعاتُ الكَثيرَةُ؛ لُغَةُ مادَّةِ النّحْوِ؛ التِّكْرارُ.

Abstract: Our research sheet, in which we have adopted the descriptive-analytical approach, includes a grammatical study under which we evoke the efforts of ancient and contemporary grammarians to make the necessary modifications to grammar books in order to facilitate its teaching, according to scholars and scholars of Arabic, the grammar has listed the bugs and flaws that undoubtedly caused its difficulty, complexity and rigidity, something that has exhausted the language and hindered its prosperity, development and renewal in because of the grammatical industry's dependence on Greek philosophy and Aristotelian logic. Thus grammatical schools were established, the circle of disagreement between grammarians widened and the conflict between them intensified, until the grammar books were strewn with a few faults, such as: The great number of chapters and their overlapping, the numerous derivations, the multiplicities of expressions, the exaggeration in analogy and interpretation, and the confusion of titles, the difficulty of the language in which the grammar contents are composed, of repetition and tautology, the absence of goals and objectives when elaborating,

* علي كشرود: alikachroud67@gmail.com

the narrowing of the sources of examples, the expansion of the period of protest, the lack of stability of grammatical rules due to their dependence on poetry that involves change, interpretation, lack of grammatical stability and grammatical inconsistencies in others, such as: Logic, Theology and Philosophy.

In light of these gaps and problems in grammar books, ancient grammarians strove to find a way to make grammar easier, so they composed abbreviations, educational poems, and annotations.

Keywords: Abbreviation;Grammar language ;Repetition ;Padding ;Annotations.

1. مقدمة :

مِنَ الشّائعِ فِيْ العصْرِ الحديثِ عَنِ اللُّغَةِ العربيّةِ –وخاصّةً لدى الطَّبَقَةِ المُثَقَّفَةِ والدُّنْيا– أنَّها لُغَةٌ صَعْبَةٌ، وَأَنَّ قَواعِدَها النّحْوِيَّةَ مُسْتَعْصِيَّةُ الفَهْمِ لَدى الدَّارسينَ لِأسْبابٍ كثيرَةٍ نُحاوِلُ عَرْضَها فِيْ حُلَّةٍ بسيطَةٍ فِيْ صَفْحاتِ وَرَقَتِنا البَحْثِيَّةِ مِنْ بابِ الرَّدِّ على الاِتِّهاماتِ الباطلَةِ وَالموجَّهَةِ فِيْ حَقِّ لُغَةٍ يَجْهَلُ عامَّةُ النّاسِ ضَوابِطَ أَحْكامِها، وَقَواعِدَ نَحْوِها وَصَرْفِها؛ فالنّحْوُ العربِيُّ مَثَلُهُ كَمَثَلِ باقِيْ العلومِ وَالمعارِفِ، وَاللُّغاتِ الأُخْرى، ليْسَ بِالصَّعْبِ، وَلا المعقَّدِ، وَإِنَّما يَتَوَخَّى مُعِدُّو المناهِجِ التّرْبوِيَّةِ التّعْليمِيَّةِ، وَمُؤَلِّفو الكُتُبِ فِيْ هذا العلْمِ المعاييرَ المطْلوبَةَ، وَالمؤَشِّراتِ الدَّقيقَةَ عنْدَ وضْعِ مُؤَلَّفٍ فِيْ علْمِ اللُّغَةِ العربيَّةِ؛ لِأَنَّ النّحْوَ العرَبِيَّ فِيْ حقيقَةِ أمْرِهِ، تَتَميَّزُ قواعدُهُ بِالثَّباتِ وَالرُّسوخِ، وَمُرونتِهِ الكبيرَةِ فِيْ عَدَمِ الاِلْتِزامِ بِتَرْتيبِ عناصِرِ التّرْكيبِ الإسْناديِّ فِعْليًّا كانَ أوْ اِسْميًّا معَ بقاءِ المعْنى نفْسِهِ فِيْ حالِ ترْتيبِ عناصِرِ الجُملَةِ تَرْتيبًا أَصْليًّا، مثْلُ تقْديمِ المفْعولِ بِهِ على الفاعِلِ أوْ على الفِعْلِ والفاعِلِ معًا، وَمِثْلُ تقْديمِ الخبَرِ على المبْتَدأ. فَالغايَةُ المنْشودَةُ مِنَ الإحاطَةِ بِقواعِدِ اللُّغَةِ العربيَّةِ، هيَ الحِفاظُ على المعْنى، وَتَأْليفُ الكلامِ على نَحْوِ ما دَرَجَ عليْهِ العرَبُ، وَما سُمِّيَّ النّحْوُ نَحْوًا إلاَّ لِأَنَّنا نَنْحو مَنْحى العرَبِ فِيْ سَمْتِ تأْليفِ عَناصِرِ الكلامِ، فَقَوْلُنا: نَحا نَحْوَ الشَّيْءِ، أيْ: قَصَدَهُ، ومَشى مَمْشاهُ، وَقَلَّدَهُ، وَحاكاهُ. وَعليْهِ، اِهْتَمَّ علْمُ النّحْوِ فِيْ جَوْهرِهِ بِأَواخِرِ الكلِماتِ وَضَبْطِ حَرَكاتِها بِحسَبِ موْقِعِها مِنَ التّرْكيبِ، فضْلاً عَنِ اِهْتِمامِهِ بِما يُصيبُ تلْكَ الكلِماتِ مِنْ إعْرابٍ وَبِناءٍ، وَاِشْتِغالِهِ بِالوَحداتِ الكَلامِيَّةِ المؤَلِّفَةِ لِلتَّرْكيبِ مِنْ حيْثُ تَقْديمُها أَوْ تأْخيرُها، وَأَسْبابُ هَذا التَّقْديمِ وَالتّأْخيرِ، كَما يَتَوجَّهُ علْمُ النّحْوِ بِالاِهْتِمامِ نَحْوَ معانِيْ الحُروفِ.

ذَكَرَ لَنا التّاريخُ، أنَّ بَعْدَ اِنْتِشارِ الفُتوحاتِ الإسْلاَميَّةِ ظَهَرَ ما يُسَمَّى بِاللَّحْنِ وَالخطأ على أَلْسِنَةِ الشُّعوبِ الدَّاخلَةِ فِيْ الدِّينِ الجديدِ، فَضَعُفَتْ سَليقَةُ العرَبِ بِسَبَبِ اِخْتِلاطِ الجِنْسِ العرَبِيِّ بِالجِنْسِ الأَعْجَمِيِّ؛ وَأمامَ هَذِه الأَوْضاعِ باتَ ضَروريًّا التّفْكيرُ بِطريقَةٍ مَنْطِقيَّةٍ وَمنْهَجِيَّةٍ لِلتّصَدِّيْ لِهَذِهِ الظّاهرَةِ الدّخيلَةِ الَّتِيْ مَسَّتِ اللُّغَةَ العربيَّةَ فِيْ جَوْهرِها وَحتَّى كتابَ اللهِ. فَالحاجَةُ إلى ضَبْطِ الكلِماتِ كانتْ جِدُّ قَوِيَّةٍ سَعْيًا لِلْحِفاظِ على لُغَةِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ الطّاهرَةِ. فَظَهَرَ أَبو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ لِيَضعَ طريقَةً مُمَيَّزَةً وَفَريدَةً مِنْ نَوْعِها لِضَبْطِ الكلِماتِ فِيْ آيِ القُرْآنِ الكريمِ، فَاِهْتَدى إلى وضْعِ نُقْطَةٍ بِلَوْنٍ مُخالِفٍ لِلَوْنِ الكِتابَةِ فوْقَ الحرْفِ لِيَدُلَّ على الفَتْحَةِ، وَنُقْطَةٍ أسْفَلَ الحرْفِ لِيَدُلَّ على الكَسْرَةِ، وَنُقْطَةٍ عَنْ شمالِ الحرْفِ لِيَدُلَّ على الضَّمَّةِ، وَنُقْطَتَيْنِ فوْقَ الحرْفِ أوْ أَسْفلِهِ أَوْ عَنْ شمالِهِ لِيَدُلَّ على التَّنْوينِ؛ أمَّا الدّلالَةُ على سُكونِ الحرْفِ، فَكانَ يُشيرُ إلى ذلِكَ بِتَرْكِ الحرْفِ خاليًا مِنَ النُّقْطِ. وَهَكَذا، اِجْتَهَدَ أَبو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ، وَكانَ سَبَّاقًا –على الأَرْجَحِ– إلى تَنْقيطِ المصْحَفِ الشَّريفِ بِالحرَكاتِ، معْنى ذلِكَ أنَّهُ الأَوَّلُ مَنْ أَسَّسَ لِقَواعِدِ اللُّغَةِ العربيَّةِ، وَوَضَعَ علْمَ النَّحْوِ، طبْعًا معَ اِخْتِلافٍ فِيْ الرِّواياتِ، فَهُناكَ رِوايَةٌ تَقُولُ إنَّ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ علْمَ النّحْوِ هُوَ الخليلُ بْنُ أحْمَدَ الفَراهيدِي، وروايَةٌ ثانيَةٌ تُرَجِّحُ عَلِيًّا بْنَ أَبِيْ طالِبٍ –كَرَّمَ اللهُ وجْهَهُ– وَرِوايَةٌ ثالِثَةٌ تَقُولُ إنَّهُ سيبَوَيْهِ. إلاَّ أَنَّ الرَّاجِحَ فِيْ الرِّواياتِ جَميعِها، هُوَ اِنْتِسابُ وَضْعِ علْمِ النّحْوِ لِأَبِيْ الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ. فَأَشْهَرُ القَصَصِ حَوْلَ وَضْعِهِ لِضَوابِطِ اللُّغَةِ العربيَّةِ وَأَحْكامِها، تَرْوِيْ أَنَّ أبَا الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ مَرَّ بِرَجُلٍ

يَقْرَأُ القُرْآنَ، قائلاً: "أَنَّ اللهَ بريءٌ مِنَ المشْرِكينَ وَرَسولُهُ" (سورة التَوْبَةُ 3). بِخَفْضِ حرْفِ الرَّاءِ مِنْ كلمَةِ (رَسولُهُ) على أَساسِ أنَّ القارِىءَ جَعَلَها مَعْطوفَةً وَمَجْرورَةً بِالتَّبَعِيَّةِ على لفْظَةِ (المشْرِكينَ)، وَبِالطَّبْعِ، مِثْلُ هَذا الإعْرابِ يُفْسِدُ المعْنى المقْصودَ مِنْ بَراءَةِ اللهِ تعالى وَرَسولِهِ المصْطَفى مِنْ طائفَةِ المشْرِكينَ؛ لأَنَّ كلِمَةَ (رَسولُهُ) بِالرَّفْعِ، هِيَ مُبْتَدأٌ لِجُمْلَةٍ مَحْذوفَةٍ تَقْديرُها: (وَرَسولُهُ كذَلِكَ بريءٌ). وَعليْهِ، فَالقِراءَةُ الصَّحيحَةُ لِلآيَةِ الكَريمَةِ، هِيَ: " أَنَّ اللهَ بَريءٌ مِنَ المشْرِكينَ وَرسُولُهُ"، بِمعْنَى أَنَّ البراءَةَ مِنَ المشْرِكينَ واقِعَةٌ مِنَ اللهِ تَعالى وَرَسولِهِ النَّبِيِّ الكريمِ. فَما كانَ مِنْ أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ بَعْدَ هَذِهِ الحادِثَةِ، إلاَّ الذَّهابُ إلى عليٍّ –كَرَّمَ اللهُ وجْهَهُ–وَتَنْبيهُهِ إلى أَنَّ العرَبِيَّةَ وَالقُرْآنَ في خَطَرٍ. فَأَخَذَ عليٌّ –رَضِيَ اللهُ عنْهُ–رُقْعَةً وَرَقِيَّةً وَكَتَبَ عليْها: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ. الكلامُ اِسْمٌ وَفِعْلٌ وَحرْفٌ. الاِسْمُ ما أَنْبَأَ عَنِ المسَمَّى، وَالفِعْلُ ما أَنْبَأَ عَنْ حرَكةِ المسَمَّى، وَالحرْفُ ما أَنْبَأَ عَمَّا هُوَ لَيْسَ اِسْمًا وَلا فِعْلاً". ثُمَّ قالَ لأَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ: "أَنْحُ هَذا النَّحْوَ"، أَيْ: أُسْلُكْ هذا الطَّريقَ لِتَضَعَ لِلنَّاسِ القَواعِدَ النَّحْوِيَّةَ لِلُّغَةِ العرَبِيَّةِ... وَهَكَذا، تَتابَعَتْ جُهودُ العُلَماءِ مُنْذُ القَرْنِ الثّانِي الهِجْرِيِّ، وَتَضاعَفَتْ مُحاولاتُهُمْ في التَّأْليفِ حِفاظًا على القَواعِدِ النَّحْوِيَّةِ. وَإِنَّ مِنْ أَشْهَرِ مَنْ سَهِرَ على تَرْتيبِ القَواعِدِ النَّحْوِيَّةِ، وَحَرَصَ على تَنْظيمِ أَبْوابِها، العالِمُ الفارِسِيُّ الأَصْلِ: سيبَوَيْهِ. وَلِهَذا جاءَتْ ورَقَتُنا البَحْثِيَّةُ لِلنَّظَرِ في عُيوبِ التَّأْليفِ النَّحْوِيِّ الَّتِي كانَتْ مِنْ غيْرِ شَكٍّ سَبَبًا مُباشِرًا في صُعُوبَةِ قَواعِدِ اللُّغَةِ العرَبِيّةِ، وَتَعْقيدِها بَلْ وَحَتَّى في جُمُودِها، الأَمْرَ الَّذِي أَتْعَبَ اللُّغَةَ العرَبِيَّةَ، وَأَرْهَقَ مُتَعلِّميها.

2. مَنْهَجُ التَّبْويبِ لِمادَّةِ النَّحْوِ

شَهِدَتْ [1]حرَكَةُ التَّأْليفِ النَّحْوِيِّ في ظِلِّ تَعاقُبِ الأَزْمانِ، تَطَوُّرًا ملْحوظًا اِسْتَقْطَبَ جَميعَ أَرْكانِها؛ غَيْرَ أَنَّ المؤَلَّفاتِ الأُولى المعَبِّدَةَ لِظُهورِ النَّحْوِ خلَتْ مِنَ المنْهَجِيَّةِ العلْمِيَّةِ الدَّقيقَةِ، بِدَليلِ أَنَّ القَضايا النَّحْوِيَّةَ كانَتْ تُعْرَضُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجْمَعَها بابٌ يَخْتَصُّ بِها، فَضْلاً عَنِ اِمْتِزاجِ المسائِلِ النَّحْوِيَّةِ بِعلومِ اللُّغَةِ المخْتلِفَةِ مِنْ صَوْتٍ، وَصَرْفٍ؛ لأَنَّ الشُّغْلَ الشّاغِلَ لَدَى الرُّواةِ كانَ مُتَّجِهًا نَحْوَ تَوْثيقِ اللُّغَةِ، وَصَوْنِها مِنَ الاِنْدِثارِ وَالزَّوالِ. وَبِتَعاقُبِ الأَيّامِ وَكُرورِها، سَلَكَ التَّأْليفُ النَّحْوِيُّ مَنْحًى آخَرَ اِتَّجَهَ فِيْ كَنَفِهِ العُلماءُ إلى الدِّراسَةِ التَّحْليلِيَّةِ لِلْمَتْنِ اللُّغَوِيِّ المتَحَصَّلِ عليْهِ في إطارِ اِسْتِقْراءِ كلامِ العرَبِ شِعْرِهِ وَنَثْرِهِ، بِغَرَضِ اِسْتِنْباطِ الأَحْكامِ وَالقَواعِدِ العامَّةِ الَّتِي تَضْبِطُ اللُّغَةَ، فَانْتَشَرَتْ في ظِلِّ هذا الهَدَفِ المنْشودِ عمَلِيَّةُ التَّصْنيفِ، وَالتَّرْتيبِ، وَالتَّبْويبِ، حَتَّى إنَّ سيبَوَيْهِ حازَ قَصَبَ السَّبْقِ في هَذا المجالِ، وَلا أَدَلَّ على ذلِكَ مِنْ كَوْنِهِ نَفَخَ الرُّوحَ المبْدِعَةَ في مُؤَلَّفِهِ (الكِتاب)، وَمنَحَهُ دَفْعًا قَوِيًّا وَمُحَفِّزًا على اِحْتِواءِ الدِّراساتِ النَّحْوِيَّةِ في عصْرِهِ وَالعُصورِ اللاَّحِقَةِ... إلى أَنْ صارَ –كِتابُهُ– مَحَطَّ أَنْظارِ العُلماءِ وَالباحِثينَ، فَأَقْبَلوا عليْهِ يَتَدارَسونَهُ، وَيَسيرونَ على نَهْجِهِ.

وَلَكِنْ، أَتى على الأُمَّةِ العرَبِيَّةِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ اِسْتَفْحلَتْ فيهِ ظاهِرَةُ اللَّحْنِ، فَشاعَ الخَطأُ، وَتَشَعَّبَتْ سُبُلُ الاِنْحرافِ في اِسْتِخْدامِ اللِّسانِ العرَبِيِّ. وَأَمامَ الظَّرْفِ الطّارِىءِ، اِسْتَجْمَعَ النُّحاةُ جُهودَهُمْ وَقُواهُمُ العقْلِيَّةَ، وَعَمَدوا إلى وَضْعِ مَصَنَّفاتٍ تُيَسِّرُ على المتعلِّمينَ سُبُلَ تَعلُّمِ اللُّغَةِ العرَبِيَّةِ، وَاِمْتِلاكِ ناصِيَتِها بِإِحْكامِ قَواعِدِها مِنْ بابِ صَوْنِ اللِّسانِ، وَعِصْمَتِهِ عَنِ الخَطأ. فَظَهَرَتْ إلى الوُجودِ في رِحابِ الاِجْتِهاداتِ المتَواليَةِ مُصَنَّفاتٌ مُتباينَةٌ تُراعِي في مَناهِجِ تَبْويبِها عامِلَ تَغَيُّرِ الزَّمانِ، وتَتَبَنَّى في وَضْعِها وَتَصْميمِها ظاهِرَةَ الفُروقِ الفَرْدِيَّةِ نَتيجَةَ اِخْتِلافِ مُسْتَوياتِ المتعلِّمينَ، وَتَبايُنِ قُدُراتِهِمُ العقْلِيَّةِ؛ لأَنَّ علْمَ النَّفْسِ التَّرْبَوِيِّ الحديثَ، يُؤْمِنُ بِمبْدأ أَنَّ ما يُؤَلَّفُ لِلْمُتعلِّمِ المبْتَدىءِ في تعلُّمِ اللُّغَةِ العرَبِيَّةِ، لَيْسَ يُشْبِهُ المؤَلَّفَ المؤَجَّهَ لِلْمُتعلِّمِ المتمَكِّنِ مِنَ العرَبِيّةِ. وَأَنَّ ما يُوضَعُ مِنْ كُتُبٍ لِبَيانِ الأَحْكامِ وَالقَواعِدِ العامَّةِ الَّتِي تَضْبِطُ اللُّغَةَ، لَيْسَ كالَّتِي تُوضَعُ لِغَرَضِ التَّنْظيرِ النَّحْوِيِّ أَوْ الَّتِي تَعْرِضُ قَضايا فِكْرِيَّةً دَقيقَةً وَتَدْعو إلى مُناقَشَتِها.

تَنَوَّعَتِ المؤَلَّفاتُ النّحْوِيَّةُ، وَاِخْتلَفَتْ طرائقُ ترْتيبِها، وَتَبايَنَتْ أَنْماطُ مُعالجَةِ المادَّةِ النّحْوِيَّةِ وَمَسائلِها، كَما تَنَوَّعَتْ أَشْكالُ تَصْنيفِها، وَطريقَةُ تَبْويبِها فيْ أَبْوابٍ وَفُصُولٍ بِالنَّظَرِ إلى عَلاقاتِ القَرابَةِ بَيْنَ مَجْموعَةٍ مِنَ المسائلِ النّحْوِيَّةِ الَّتِيْ هِيَ مِنْ صلْبِ مَوادِّ النّحْوِ، ما نَجَمَ عَنْ هَذا التَّنَوُّعِ فيْ الأَنْماطِ، وَفيْ التَّبْويبِ، وَالتّرْتيبِ إثْراءُ النّحْوِ، وَتَوْسيعُ مَباحِثِهِ.

وَبِما أَنَّ منْهَجَ التّأْليفِ، هُوَ واحِدٌ مِنْ أُسُسِ المنْهَجِ العلْمِيِّ لِما لَهُ مِنْ آثارٍ مُباشِرَةٍ، وَنَتائجَ مَلْموسَةٍ تُغَطِّيْ جَميعَ أَرْكانِ التّصْنيفِ النّحْوِيِّ، باتَ مِنَ الضَّرورِيِّ طَرْحُ مِثْلِ الاِنْشِغالاتِ التّاليَةِ: ما حَدُّ البابِ النّحْوِيِّ؟ وَما مُمَيِّزاتُهُ؟ وَما أَبْرَزُ مُقَوِّماتِهِ؟ وَما هيَ أَشْكالُ التَّبْويبِ لِمادَّةِ النّحْوِ؟ وَما الأَثَرُ الَّذيْ تَرَكَهُ تَنَوُّعُ هَذِهِ الأَشْكالِ فيْ النّحْوِ العَرَبِيِّ؟ أَيْ بِعِبارَةٍ أُخْرى: هَلْ أَسْهَمَتْ هَذِهِ الأَنْماطُ إلى حَدٍّ كَبيرٍ فيْ تَقَدُّمِ الدِّراساتِ النّحْوِيَّةِ، وَتَطَوُّرِ مَباحِثِها، وَحَصْرِ قَضاياها؟

وَلَكِنْ، قبْلَ التّعَرُّضِ لِهَذِهِ التَّساؤلاتِ بِالإجابَةِ الشّافيَةِ، يَحْسُنُ بِنا فيْ هَذا المقامِ النّظَرُ فيْ لفْظَةِ: (البابِ) لُغَةً وَاِصْطِلاحًا.

1.2 حَدُّ (البابِ) لُغَةً:

وَرَدَ على لِسانِ ابْنِ مَنْظورٍ فيْ مُؤَلَّفِهِ ما مُفادُهُ: "البابُ مَعْروفٌ، وَالفِعْلُ منْهُ التّبْويبُ، وَالجمْعُ أبْوابٌ وبيبانٌ، وَاِسْتَعارَ سُوَيْدُ بْنُ كُراعٍ الأَبْوابَ لِلْقوافيْ، فَقالَ:

أَبيتُ بِأَبْوابِ القَوافيْ كَأَنَّما * أُصاديْ سِرْبًا مِنَ الوَحْشِ نُزَّعا*

وَباباتُ الكِتابِ: سُطورُهُ، وَقيلَ: هيَ وُجوهُهُ وَطُرُقُهُ. قالَ تَميمُ بْنُ أُبَيٍّ:

بَنِيْ عامِرٍ، ما تأْمُرونَ بِشاعِرٍ * تَخَيَّرَ باباتِ الكِتابِ هِجائِيَا**

وَرَجُلٌ بَوَّابٌ: لازَمَ البابَ، وَحِرْفَتُهُ البوابَةُ... وَالبابُ وَالبابَةُ فيْ الحُدودِ وَالحِسابِ ونَحْوِهِ: الغايَةُ، حَكى سيبَوَيْهِ: بَيَّنْتُ لَهُ حِسابَهُ بابًا بابا. وَأَبْوابٌ مُبَوَّبَةٌ: أَصْنافٌ مُصَنَّفَةٌ..."[2]. فقَدْ أَشارَ صاحِبُ اللِّسانِ إلى الوُجوهِ الصَّرْفيَّةِ المسْتعْملَةِ عُمومًا مِنَ اللَّفْظَةِ، مثْلُ المفْرَدِ وَالجمْعِ، ثُمَّ عَرَضَ مُخْتلِفَ المعانيْ وَالدَّلالاتِ الَّتِيْ تُشيرُ إليْها لفْظَةُ (البابِ) وَكَيْفَ أَنَّها تَدُلُّ تارَةً على أبْوابِ القَوافيْ، وتارَةً أُخْرى على سُطورِ الكِتابِ أَوْ بِمعْنى الغايَةِ وَالمقْصِدِ.

أَمَّا فيْ (الكُلِّيّاتِ)، فَإنَّ صاحِبَهُ يَعْرِضُ على الباحِثِ وَالدّارِسِ التّعْريفَ التّاليَ: "البابُ فيْ الأَصْلِ مَدْخَلٌ، ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ ما يُتَوَصَّلُ بِهِ إلى الشَّيْءِ. وَفيْ العُرْفِ طائفَةٌ مِنَ الأَلْفاظِ الدَّالَّةِ على مَسائلَ مِنْ جِنْسٍ واحِدٍ"[3]. عَرَضَ صاحِبُ (الكُلِّيّاتِ) المعْنى العامَّ لِلَّفْظَةِ بِحُكْمِ ما شاعَ بيْنَ النّاسِ فيْ الاِسْتعْمالِ، وهْوَ دلالَتُها على المدْخَلِ، مِثْلُ: مَدْخَلِ البيْتِ أَوْ مَدْخَلِ بِنايَةٍ أَوْ مَدْخَلِ مَلْعَبٍ، وَهَكَذا دَوالَيْكَ... لِيَصْرِفَ نَظَرَ القارِىءِ إلى اِنْتِقالِ دلالَةِ اللَّفْظَةِ إلى مَعْنى ما يَكونُ مُؤَدِّيًا إلى شَيْءٍ آخَرَ.

2.2 حَدُّ (البابِ) اِصْطِلاحًا:

تَبايَنَتِ المفاهيمُ حوْلَ كلِمَةِ (البابِ) لَدَى النُّحاةِ العرَبِ وَلَدَى المحْدَثينَ مِنْ لِسانِيّينَ، فَهَذا مُحَمَّدٌ إبْراهيمُ عبادَة يُطْلِقُ عُنْوانَ البابِ على الوَظيفَةِ النّحْوِيَّةِ السَّائدَةِ فيهِ، مُنْطلِقًا مِمَّا جاءَ فيْ (الكِتابِ)، قائلاً: "فَلا نَعْنِيْ بِالبابِ ما يَدُلُّ على الوَظيفَةِ النّحْوِيَّةِ كَبابِ الفاعِلِ، وبابِ المفْعولِ بِهِ، وبابِ التَّوْكيدِ، وَبابِ التَّمْييزِ كَصَنيعِ المتَأَخِّرينَ مِنَ النّحْوِيّينَ فيْ مُصَنَّفاتِهِمْ، وَلَكِنَّهُ عقَدَ بابًا لِكُلِّ مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسائلِ النّحْوِ وَالصَّرْفِ، مِنْ غيْرِ تَفْرِقَةٍ بيْنَ المسائلِ الرَّئيسِيَّةِ وَالمسائلِ الفَرْعِيَّةِ، فَنَجِدُ عِنْدَهُ بابًا بِعُنْوانِ: (هَذا بابُ إعْرابِ الأَفْعالِ المضارِعَةِ لِلأَسْماءِ)"[4]. مَعْنى ذلِكَ، أَنَّ ما ذَكَرَهُ سيبَوَيْهِ يُعَدُّ عُنْوانًا لِمَسْأَلَةٍ رَئيسِيَّةٍ، تَتَفَرَّعُ عَنْها مَسائلُ ثانَوِيَّةٌ فيْ إطارِ إعْرابِ الفِعْلِ المضارِعِ، مثْلُ: أَدواتِ النَّصْبِ، وَأَدواتِ الجَزْمِ. ثُمَّ يُضيفُ قائلاً: "وَيَسْتَمِرُّ -وَيُريدُ سيبَوَيْهِ- فيْ عقْدِ أَبْوابِ المسائلِ الفَرْعِيَّةِ المتَّصِلَةِ بِإعْرابِ الفعْلِ المضارِعِ حَتَّى يَصِلَ إلى عِشْرينَ

بَابًا"[5]. وَيَظْهَرُ لَنا جَلِيًّا مِنْ سُطورِ ما قالَهُ مُحَمَّدٌ إبْراهيمُ عبادَة، أنَّهُ يُفَرِّقُ بيْنَ الوَظيفَةِ النّحْوِيَّةِ لِلأَلْفاظِ، مثْلُ: الفِعْلِ، وَالفاعِلِ، وَالمَفْعولِ، وَالحالِ وَغَيْرِها... بِحسَبِ ما دَرَجَ عليْهِ النُّحاةُ المتأَخِّرونَ مِمَّنْ جاؤوا بَعْدَ العصْرِ الذَّهَبِيِّ لِلنَّحْوِ العرَبِيّ، وَبيْنَ مَفْهومِ (البابِ) الَّذِيْ يُشيرُ إلى المسائلِ الرَّئيسِيّةِ الَّتِيْ تُنَظِّرُ لِلنَّحْوِ وَالَّتِيْ يَنْبَنِيْ عليْها، وَإلى المسائلِ الفرْعِيَّةِ المتَشَعِّبَةِ عَنْها.

أَمَّا مَفْهومُ (البابِ) لَدَى نُورا حسَن قاسِم، فَيَظْهَرُ فِيْ كوْنِهِ يَدُلُّ على الأَلْفاظِ الدّاخلَةِ فِيْ صِنْفٍ واحِدٍ وَالمنْتَمِيَةِ إليْهِ مِنْ غَيْرِ اِسْتِثْناءٍ فيها بِالاِرْتِكازِ على وَظائِفِها النّحْوِيَّةِ، إذْ يَقولُ واصِفًا (الكِتابَ): "فَقَدْ صَنَّفَ أَضْرُبًا مِنَ الكَلِمِ تَصْنيفًا واحِدًا، أَيْ: يُنْسِبُها إلى مَعْنًى نَحْوِيٍّ واحِدٍ، بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ اِمْتِدادِ بِنْيَتِها الصَّرْفِيَّةِ"[6]. وَمعْنى ذلِكَ بِحَسَبِ ما ورَدَ على لِسانِ القائلِ، أنَّ بِالإمْكانِ الجمْعَ بيْنَ الفعْلِ المضارِعِ وَاِسْمِ الفاعِلِ وَتَصْنيفِهِما تَصْنيفًا واحِدًا بِالنَّظَرِ إلى الوَظيفَةِ النّحْوِيَّةِ الَّتِيْ يُؤَدِّيانِها، وَبِالنَّظَرِ إلى وُقوعِهِما مَوْقِعًا واحِدًا مِنَ التّرْكيبِ.

أَمَّا حسَن خميس الملخ، فَهُو على غيْرِ ما ذَهَبَ إليْهِ غيْرُهُ مِنَ النُّحاةِ المتأَخِّرينَ، إذْ يُقَدِّمُ لِلْبابِ النّحْوِيّ مَفْهُومًا اِسْتِقْرائِيًّا تَحْليلِيًّا مُعْتَمِدًا فيما ذَهَبَ إليْهِ على ما ذَكَرَهُ صاحِبُ (الكُلِّيّاتِ)، فَيَقولُ: "لا يَبْعُدُ أنْ يَكُونَ النُّحاةُ قَدِ اِسْتَعاروا مُصْطَلَحَ البابِ مِنْ بابِ المنْزِلِ؛ لأَنَّهُ يُدْخِلُ إلى المنْزِلِ. فَإذَا قُلْنا بابَ الفاعِلِ، فَكَأَنَّنا قُلْنا البابَ الَّذِيْ يُدْخِلُ إلى قَضايا الفاعِلِ وَمَسائلِهِ. وَقَضايا الفاعِلِ وَمَسائلِهِ –علَى تَنَوُّعِها–يُنَظِّمُها خَيْطٌ منْهَجِيٌّ واحِدٌ، يُحَدِّدُ مَفْهومَ الفاعِلِ أَوِ القاعِدَةَ الكُلِّيَّةَ لِبابِ الفاعِلِ"[7]. فَالبابُ إذَنْ مِنْ وِجْهَةِ النَّظَرِ هَذِهِ، هُوَ القاعِدَةُ الكُلِّيَّةُ الَّتِيْ تَتَفَرَّعُ عنْها المسائلُ المخْتلِفَةُ الموصِلَةُ بِالقاعِدَةِ الكُلِّيَّةِ مِنْ طريقِ خَيْطٍ منْهَجِيٍّ أَوْ بِعِبارَةٍ أُخْرى، يُعَدُّ مَفْهومُ البابِ النّحْوِيّ وِفاقَ الطَّرْحِ الَّذِيْ عَرَضَهُ مُصْطَلَحًا دالاًّ على الأَلْفاظِ المنْتَمِيَةِ إلى زُمْرَةٍ واحِدَةٍ أَوْ صِنْفٍ واحِدٍ أَوْ مَجْموعَةٍ واحِدَةٍ بِالاِعْتِمادِ على وَظائِفِها النّحْوِيَّةِ.

إنَّ المفاهيمَ الَّتِيْ تَمَّ عَرْضُها وإنْ تَبايَنَتْ، وَاِصْطَبَغَتْ تارَةً بِالنَّظْرَةِ الاِسْتِقْرائِيَّةِ التّحْليلِيَّةِ، وَتارَةً بِالنّظْرَةِ التّصْنيفِيَّةِ المنْهَجِيَّةِ، فَإنَّ القاسِمَ المشْتَرَكَ بيْنَها هُوَ وُجودُ ذلِكَ الرَّابِطِ المنْهَجِيّ الواحِدِ الَّذِيْ يَجْمَعُ المسائلَ الفرْعِيَّةَ أَوْ موادَّ البابِ النّحْوِيّ وَيَصِلُها بِالقاعِدَةِ النّحْوِيَّةِ العامَّةِ أوِ المسائلِ الرَّئيسِيَّةِ.

3. لَمْحَةٌ تاريخِيَّةٌ عَنْ حَرَكَةِ التَّأْليفِ النَحْوِيّ

لَمْ تَخْلُ البُحوثُ الأكادِيمِيَّةُ لِكثيرٍ مِنْ الباحِثينَ وَالدَّارسينَ مِنَ الاِهْتِمامِ المتَزايِدِ بِالنّحْوِ العرَبِيّ، وَبِمُخْتلِفِ جَوانِبِهِ وَمُصَنَّفاتِهِ، وَما لِهَذِهِ الأَخيرَةِ مِنْ صِفاتٍ وَخَصائصَ، وَما تُشَكِّلُهُ مِنْ مَناهِجَ فِيْ إعْدادِها؛ لأَنَّ ثَمَّةَ فُروقًا واضِحَةً بَيْنَ التَّأليفِ النّحْوِيّ، وَالتّصْنيفِ النّحْوِيّ، وَالتّفْكيرِ النّحْوِيّ. وَإنَّ لِلتَّأليفِ –مهْما كانتْ طَبيعَةُ مَضامينِهِ–أرْبَعَةَ أرْكانٍ لا يَقومُ إلاَّ علَيْها، وهْيَ:

– المؤَلِّفُ أوِ المصَنِّفُ: وَهْوَ الكاتِبُ، أيْ الَّذِيْ يَتَوَلَّى صِناعَةَ الكتابِ وَإعْدادَهُ بِغَرَضِ عرْضِهِ على القُرَّاءِ (المتَلَقِّينَ)، يَقولُ كمال عرَفاتْ فِيْ هَذا السِّياقِ: "إنَّ المؤَلِّفَ، هوَ الكاتِبُ الأَصْليُّ لِعمَلٍ أدَبِيٍّ أَوْ علْمِيٍّ، وَهُوَ المبْدِعُ أَوِ المبْتَكِرُ أَوِ الصّانِعُ أَوْ مَنْ يَكْتُبُ بِخِبرَةٍ، وَمهارَةٍ، وَيكونُ مَسْؤولاً عَنْ مُحْتَوياتِ النّصِّ"[8]. فَالتّأْليفُ إذَنْ، هِوايَةٌ وفَنٌّ فِيْ الوقْتِ نفْسِهِ، وَلاَ يَتأَتَّى لِكُلِّ الأَشْخاصِ أَنْ يَكونوا مُؤَلِّفينَ أَوْ كُتَّابًا ما لَمْ يَتَدَرَّبُوا على القِراءَةِ وَالشَّغَفِ بِها، يَقولُ صاحِبُ كتابِ (أُنْشُرْ كِتابَكَ بِنفْسِكَ عبْرَ إنْتَرْنتْ...): "قَرَأْتُ فِيْ صِغَرِيْ مَقولَةً تَقولُ: (إنَّهُ لِكَيْ تُؤَلِّفَ كتابًا، عليْكَ قِراءَةُ آلافِ الكُتُبِ)، وَأَنا أَزيدُ علَيْها ضَرورَةَ أنْ تَكونَ هاوِيًا لِلْقِراءَةِ، وَمُحِبًّا لَها"[9]، وَذَلِكَ، لأَنَّ التَّأليفَ قائمٌ على وضْعِ عَمَلٍ عقْلِيٍّ علْمِيٍّ أَوْ أَدَبِيٍّ أَوْ فَنِّيٍّ فِيْ صورَةٍ قابِلَةٍ لِلْفَهْمِ أوِ التَّفاعُلِ مَعَها أوِ التَّذَوُّقِ وَالإحْساسِ، وتَتظافَرُ عِدَّةُ عَوامِلَ لأِخْراجِهِ، منْها: مَصادِرُ ثَقافَةِ المؤَلِّفِ،

وَالرَّأْيُ وَالحِجاجُ، وَعمليَّةُ النّقْدِ، وَالتّرْكيبُ، وَالاِنْتِقالُ مِنَ المسائلِ الجُزْئيَّةِ إلى التّنْظيرِ أوِ الاِنْتِقالُ مِنَ النّظْرَةِ الشّاملَةِ وَالفاحصَةِ إلى المسائلِ الجزْئيَّةِ... لِيَشْمَلَ التّأْليفُ عنْدَ تَوافُرِ هَذِهِ العَوامِلِ مُجْتمِعَةً كُلَّ مَجالاتِ الفِكْرِ وَالمعْرِفَةِ، وَالفُنونِ بِأَنْواعِها التّشْكيليَّةِ وَالتّعْبيريَّةِ.

– المؤَلِّفُ أَوِ المصَنِّفُ أَوِ الكتابُ: وَهْوَ مَجْموعَةُ أَوْراقٍ تَحْتوِيْ على نُصوصٍ (المادَّةُ المعْرِفيَّةُ أَوِ المتونُ)، مَعْروضَةً وِفاقَ خِطَّةٍ مُحدَّدَةٍ، وَبِطريقَةٍ فيها تنْظيمٌ لِهَذِه المحْتوياتِ وَترْتيبٌ بِاعْتِبارِ المنْهَجِ الَّذِيْ تَبنّاهُ صاحِبُ الكتابِ؛ لِأَنَّ الكتابَ فيْ آخِرِ المطافِ، يُمثِّلُ ثَمْرَةَ المؤَلِّفِ.

– المنْهَجُ المتَّبَعُ: وهْوَ الطَّريقَةُ الَّتِيْ يَتَّخِذُها الكاتِبُ لِنفْسِهِ مِنْ أَجْلِ إعْدادِ الكتابِ وَصِناعتِهِ اِنْطِلاقًا مِنْ ثَقافَتِهِ، وَمَصادِرِ علْمِهِ، وَالبيئَةِ الَّتِيْ عاشَ فيها بِكامِلِ مَلامِحِها وَتَفْصُلاتِها.

– أَدواتُ المؤَلِّفِ: هِيَ عِبارَةٌ عنِ الوَسائلِ الَّتِيْ يَسْتعينُ بِها الكاتِبُ لِصِناعَةِ مُؤَلَّفِهِ، وَالمصادِرِ الَّتِيْ يَنْهَلُ منْها المادَّةَ المعْرِفيَّةَ الَّتِيْ تُتَرْجَمُ فيْ صَفْحاتِ كِتابِهِ.

وَفيْ ظِلِّ هَذِه الأَرْكانِ الأَرْبعَةِ وَالَّتِيْ لا تَتَحَقَّقُ عمليَّةُ التّأْليفِ إلاَّ بِها، أَمْكَنَ لَنا إجْراءُ عمليَّةِ إسْقاطٍ على المراحِلِ المخْتلِفَةِ الَّتِيْ مَرَّ بِها التّأْليفُ النّحْويُّ العرَبِيُّ، وَالَّتِيْ أَنْتَجَتْ مُؤَلَّفاتٍ مُنَظَّمَةً وَمُرتَّبَةً بِشكْلٍ قابِلٍ لِأَنْ تُدْرَسَ وَيُبْحَثَ فيها بِاعْتِبارِها أَرْضًا خِصْبَةً تُتَرْجِمُ بِحَقٍّ بَوادِرَ التّأْليفِ النّحْويّ، وَمَصادِرِه، وَالأُسُسِ أوِ الأُصولِ المتَبنّاةِ فيْ إعْدادِ المصنَّفاتِ النّحْويَّةِ. فَالمتَتَبِّعُ لِهَذِه المراحِلِ منْذُ نَشْأَةِ الثَّقافَةِ العرَبيَّةِ الإسْلامِيَّةِ مِنَ القَرْنِ الثّانِيْ الهِجْرِيّ إلى القَرْنِ العاشِرِ منْهُ، أَمْكَنَ لَهُ أنْ يَرْصُدَ هَذِهِ المراحِلَ على النّحْوِ التّالِيْ:

* مَرْحلَةُ الرّوايَةِ وَالحِفْظِ وَالسّماعِ (المرْحلَةُ الشّفهيَّةُ): وَكانَ يَقودُ لِواءَها رُواةُ الشِّعْرِ وَالأَنْسابِ، وَحَفَظَةُ القُرْآنِ الكريمِ، وَالمشْتغلونَ بِروايَةِ الحديثِ النَّبَوِيّ الشَّريفِ.

* مرْحلَةُ التّدْوينِ: وَمَسَّتْ هَذِه المرْحلَةُ تَدْوينَ القُرْآنِ الكريمِ، وَالسِّيرَةِ النَبَوِيَّةِ العَطِرَةِ، والحديثِ الشَّريفِ، والفِقْهِ.

* مرْحلَةُ التّصْنيفِ: أوْ ما يُعبَّرُ عنْها بِمرْحلَةِ تبْويبِ النُّصوصِ المكْتوبَةِ، وَالرِّواياتِ الشَّفهيَّةِ. وَقَدْ شَمَلَتْ هذِه المرْحلَةُ:

– التَّصْنيفَ بِاعْتِبارِ المواضيعِ، وَالأَبْوابِ أَوْ ما يُعْرَفُ بِالتّرْتيبِ الهِجائيّ أوِ الطَّبَقِيّ فيْ شَتَّى العلومِ السّائدَةِ آنَذاكَ مِنْ: حديثٍ، وَفِقْهٍ، وَتَفْسيرٍ، وَأَدَبٍ، وَتاريخٍ، وَتراجِمَ وَسِيَرٍ، وَكُتُبِ الطَّبقاتِ، وَصناعَةِ المعاجِمِ الكُبْرى وَالمَوْسوعاتِ.

– التّصْنيفَ بِاعْتِبارِ أَسْماءِ رُواةِ الحديثِ مِنَ الصَّحابَةِ –رِضْوانُ اللهِ عليْهِمْ–، مثْلُ: مُسَنَدُ اِبْنِ حَنْبَلٍ، وَمُسْنَدُ التِّرْمِذِيّ أَوْ بِاعْتِبارِ أَسْماءِ الأَشْخاصِ فيْ التَّراجِمِ أوِ التّرْتيبِ الزَّمَنِيّ.

– المنْجزاتِ العلْميَّةَ الَّتِيْ أُعِدَّتْ مِنْ أَجْلِ خِدْمةِ المصَنَّفاتِ شرْحًا، وَتكْمِلَةً، وَتَلْخيصًا أوِ اِسْتِدْراكًا، مثْلُ: المسْتَدْرَكاتُ، وَالمسْتَخْرَجاتُ، وَالتّهْذيباتُ.

* التّرْجمَةَ مِنَ اللُّغاتِ الأُخْرى إلى اللُّغَةِ العرَبيَّةِ.

* التَّأْليفَ المكْتوبَ أَوْ ما يُطْلَقُ عليْهِ مُصْطلَحُ الإبْداعِ أوِ المسْؤوليَّةِ الفرْديَّةِ فيْ مَجالٍ معْرِفِيّ ما، مثْلُ: الشِّعْرُ، وَالمقالاتُ، وَالنّقْدُ، وَالتَّنْظيرُ فيْ اللُّغَةِ، وَالعَروضُ، وَالأَدَبُ، والفلْسَفَةُ، وَالتّاريخُ، وَالتّأْليفُ العلْميُّ وَالتّاريخِيُّ وَالجَغْرافِيُّ...

يُطْلَقُ مُصْطلَحُ (التّأْليفِ النّحْويّ) على عمليَّةِ قِيامِ النُّحاةِ بِتَدْوينِ ما جَمَعوهُ مِنْ معْلوماتٍ تَتَعلَّقُ بِعلْمِ النّحْوِ، وَالاِجْتِهادِ فيْ ترْتيبِ تلْكَ المعْلوماتِ فيْ أَوْراقٍ مُعَنْوَنَةٍ وِفاقَ منْهَجِيَّةٍ مُنَظَّمَةٍ، إلاَّ أَنَّهُمْ لَمْ يولوا العِنايَةَ الفائقَةَ بِأُسُسِ صِناعَةِ المؤَلَّفاتِ بِاسْتِثْناءِ ما جاءَ منْها عَرَضًا دونَ تفْصيلٍ. وَمَعَ ذلِكَ، شَكَّلَتْ هَذِهِ المؤَلَّفاتُ عَبْقَرِيَّةَ التّأْليفِ العرَبِيّ ما يَجْعَلُ العرَبَ يَفْتَخِرونَ بِلُغَتِهِمْ، وَبِشَرَفِ اِنْتِماءِ هذِهِ اللُّغَةِ إلى القُرْآنِ الكريمِ. وَقَدْ تَنَوَّعَتْ هَذِه المؤَلَّفاتُ، فَمنْها ما جاءَ مُسْتهْدِفًا النّحْوَ

العرَبِيَّ بِمَفْهومِهِ الشّامِلِ، وَمِنْها ما جعَلَتْ إعْرابَ القُرْآنِ الكريمِ هَدَفًا لَها[10]، وَمِنْها ما جعلَتِ التّحْليلَ اللُّغَوِيَّ لِلشِّعْرِ هَدَفًا لَها[11]، فضْلاً عنِ المصادِرِ الَّتِيْ اِرْتكَزَتْ مَواضيعُها على تَفْسيرِ القُرْآنِ الكريمِ وَالَّتِيْ زَخَرَتْ بِالكثيرِ مِنَ القَضايا النّحْوِيَّةِ عرْضًا وَتَحْليلاً[12]. وَهُناكَ مَصادِرُ اِهْتَمَّتْ بِالحديثِ عَنْ حياةِ اللُّغَوِيّينَ، وَذِكْرِ أخْبارِهِمْ وَمُؤَلَّفاتِهِمْ[13]أوِ اِتَّخَذَتْ مِنْ شَرْحِ أَلْفِيَّةِ اِبْنِ مالِكٍ مَجالاً لِلحديثِ عَنْ أبْوابِ النَّحْوِ وَالتّصْريفِ[14]أوْ دارَتْ حوْلَ شَرْحِ بَعْضِ المتونِ النّحْوِيَّةِ أوْ جعلَتْ مِنْ جمْعِ ما يَتَّصِلُ بِعلْمِ أُصولِ النّحْوِ هَدَفًا لَها أوْ تلْكَ الَّتِيْ أفْرَدَتْ علْمَ الصَّرْفِ بِالتَّأْليفِ المسْتَقِلِّ أوْ الَّتِيْ اِهْتَمَّتْ بِشَرْحِ المصْطَلَحاتِ أوِ الحُدودِ النَّحْوِيَّةِ أوْ ما كانَ منْها مهْتَمًّا بِشَرْحِ شَواهِدِ كتابِ سيبَوَيْهِ أَوْ ما كانَ منْها مُنْصَبًّا على دِراسَةِ معانِيْ الحُروفِ أوْ ما جاءَ منْها فِيْ شَكْلِ كُتُبِ الشُّروحِ اللُّغَوِيَّةِ لِلشِّعْرِ أوْ كُتُبِ المخْتَصَراتِ النّحْوِيَّةِ أوْ شُروحِ أَلْفِيَّةِ اِبْنِ مالِكٍ[15]... إنَّ كُلَّ هَذِهِ المصادِرِ على تَنَوُّعِها، تُتَرْجِمُ أَهَمِّيَّةَ التّأْليفِ النّحْوِيّ لَدَى القُدَماءِ فِيْ كوْنِهِ يَحْفَظُ اللُّغَةَ، وَيَنْقُلُ ما دارَ حوْلَها مِنْ مَعارِفَ لِلأَجْيالِ اللاَّحِقَةِ. وَقَدِ اِمْتَدَّ حِرْصُ العرَبِ على كِتابَةِ كُلِّ شيْءٍ وَقَعَتْ عليْهِ أعْيُنُهُمْ، فلَمْ يَتْرُكوا شارِدَةً وَلا واردَةً إلاَّ وَذَكَروها وَدَوَّنوها مِنْ بابِ فهْمِ اللِّسانِ العرَبِيّ، وَتَفْسيرِ القُرْآنِ الكريمِ، بِدليلِ أنَّ كُلَّ هَذِهِ المصَنَّفاتِ المصْنوعَةِ مَثَّلَتْ بِصِدْقٍ أوْجُهَ تَطَوُّرِ النَّظَرِيَّةِ النّحْوِيَّةِ العرَبِيَّةِ.

إنَّ بِدايَةَ التّأْليفِ فِيْ النّحْوِ العرَبِيّ، يَقودُنا –لامَحالَةَ– إلى الحديثِ عَنْ واضِعِ علْمِ النّحْوِ وَالأُسُسِ الَّتِيْ يَنْبَنِيْ عليْها؛ فَقَدْ حَصَلَ إجْماعٌ لَدى الرُّواةِ الأوائلِ على أَسْبقيَّةِ الصَّحابِيِّ التَّابِعِيّ، وَالعالِمِ القَدِيرِ أَبِيْ الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيّ، فَهَذا صاحِبُ (الطَّبَقاتِ) يَقولُ: "وَكانَ أوَّلُ مَنْ أَسَّسَ العربيَّةَ، وَفَتَحَ بابَها، وَأَنْهَجَ سَبيلَها، وَوَضَعَ قِياسَها أبو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيّ"[16]، وَيَذْكُرُ كذلِكَ رِوايَةً عنْ يونسَ بْنِ حبيبٍ النّحْوِيّ: "أنَّ أبا الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ وَضَعَ بابَ الفاعِلِ، وَالمفْعولِ بِهِ، وَالمضافِ، وَحروفِ الرَّفْعِ، وَالنّصْبِ، وَالجَرِّ، والجَزْمِ"[17]، وَكانَ هَذا التّصَرُّفُ مِنْ أَبِيْ الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيّ بِإيعازٍ مِنَ الخليفَةِ عليٍّ –كرَّمَ اللهُ وجْهَهُ– لَمّا قالَ لهُ: "اِجْعَلْ لِلنَّاسِ حُروفًا. وَأَشارَ إلى الرَّفْعِ، وَالنّصْبِ، وَالجَرِّ"[18]، فَجاءَتْ هَذِهِ الأَبْوابُ على يَدِ أَبِيْ الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيّ لِلتَّصَدّيْ لِظاهِرَةِ اللَّحْنِ الَّتِيْ دَبَّتْ فِيْ اللِّسانِ العرَبِيّ. إذَنْ، فَمرْحلَةُ التّأْليفِ المنَظَّمِ بَدَأَتْ على يَدِ أَبِيْ الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيّ بِالرُّغْمِ مِنْ بَساطَةِ المواضيعِ الَّتِيْ عَرَضَها، وَالمسائلِ الَّتِيْ أَشارَ إلَيْها، فالأبْوابُ الَّتِيْ وَضَعها كانتْ بِمَنْزِلَةِ المنْطلَقِ الَّذِيْ بُنِيَ عليْهِ صَرْحُ النّحْوِ العرَبِيّ لِمُواجهَةِ بُؤَرِ اللَّحْنِ وَالقَضاءِ عليْها قَضاءً مُبْرَمًا.

يُعَدُّ منْهَجُ التّأْليفِ النّحْوِيّ اِنْعِكاسًا لِتَصَوُّرِ مُؤَلِّفٍ حوْلَ موْضوعٍ ما، وَتقْديمِهِ بِطريقَةٍ مُرتَّبَةٍ وَمُنَظَّمَةٍ بِغرَضِ إيصالِ النّظَرِيَّةِ إلى المتلَقّيْ بِعِنايَةٍ فيها يُسْرٌ وَوُضوحٌ. وَفِيْ هَذا السِّياقِ يَقولُ صاحِبُ (مناهِجُ التّأْليفِ النّحْوِيّ) مُعَرِّفًا منْهَجَ التّأْليفِ: "الطَّريقُ الَّذِيْ يسْلُكُهُ هذا المؤَلِّفُ أوْ ذاكَ أوْ مجْموعَةٌ مِنَ المؤَلِّفينَ فِيْ زَمَنٍ واحِدٍ أوْ فِيْ أَزْمِنَةٍ مُتباينَةٍ فِيْ تنْظيمِ أبْوابِ كِتابِهِمْ وَفُصولِهِمْ وَمَباحِثِهِمْ، وَالتَّدَرُّجِ فِيْ عَرْضِ أفْكارِهِمْ فِيْ خُطْواتٍ مُنَظَّمَةٍ مَبْنِيَّةٍ على أُسُسٍ منْهَجِيَّةٍ واضِحَةٍ، وَمُتَّسِقَةٍ تُوصِلُ إلى تعْليمِ قِراءَةِ الحَقائقِ العلْمِيَّةِ الَّتِيْ يَسْتَنْبِطُها العُلماءُ بِاتِّباعِهِمْ منْهَجَ البَحْثِ"[19]، ثُمَّ يُضيفُ قائلاً: "وَلا أُغالِيْ إذا قُلْتُ: إنَّ مناهِجَ التّأْليفِ فِيْ الكُتُبِ النّحْوِيَّةِ الأُولى كانتْ مِنْ بناتِ أفْكارِ المؤَلِّفينَ العرَبِ، وَلَمْ تَتأَثَّرْ بِأَيِّ منْهَجٍ أَجْنَبِيٍّ، وَلكِنْ ذلِكَ لا يَعْنِيْ أَنَّ تلْكَ المناهِجَ لَمْ تَتأَثَّرْ بِمناهِجِ التّأْليفِ فِيْ عُلومٍ إسْلامِيَّةٍ أُخْرى كالفِقْهِ، والحديثِ، وَالتَّفْسيرِ، وَالمعاجِمِ، وَكُتُبِ اللُّغَةِ الأُخْرى"[20]. وَقَدِ اِتَّسَمَ التّأْليفِ النّحْوِيُّ بِاِنْتِقالِهِ مِنَ الكُلِّيّاتِ إلى الجُزْئِيّاتِ، وَمِنَ الجُزْئِيّاتِ إلى الكُلِّيّاتِ ما يَعْكِسُ مثْلُ هَذا المنْهَجِ المتَّبَعِ بَعْضَ سِماتِ المنْهَجِ التَّوْليدِيّ التّحْويلِيّ، يَقولُ كريم حُسَيْن فِيْ هَذا السِّياقِ: "المنْهَجُ العرَبِيُّ، هُوَ منْهَجٌ خاصٌّ يَتَّسِمُ بِسِماتٍ كثيرَةٍ منْها ما يُمْكِنُ أنْ نَسِمَها بِسِمَةِ الوَصْفِيَّةِ، أَمَّا السِّماتُ الأُخْرى فهيَ سِماتٌ خاصَّةٌ لا علاقَةَ لَها بِالمنْهَجِ الوَصْفِيِّ الحديثِ، وَمنْها اِنْتِقالُهُ مِنَ الكُلِّيّاتِ إلى الجُزْئِيّاتِ، وَمِنَ الجُزْئِيّاتِ إلى الكُلِّيّاتِ،

وهُوَ منْهَجٌ فيهِ كثيرٌ مِنْ سِماتِ ما يُسَمَّى بِالمنْهَجِ التَّوْليدِيِّ التّحْويلِيِّ، فهُوَ قَدِ اِهْتَمَّ بِالبُنَى السَّطْحِيَّةِ لِلتَّراكيبِ كما اِهْتَمَّ بِالبُنى العَميقَةِ"[21].

تَقُومُ أُسُسُ البحْثِ فِيْ مناهِجِ التّأْليفِ النّحْوِيِّ على أَمْرَيْنِ اِثْنيْنِ، وَهُما:

- تَبْويبُ الكتُبِ النّحْوِيَّةِ، وَذِكْرُ الأُسُسِ الَّتِيْ أَفْضَتْ إلى هَذا التّبْويبِ.
- طَرائقُ عرْضِها لِلْمادَّةِ النّحْوِيَّةِ.

وَالمتَتَبِّعُ لِمناهِجِ التّأْليفِ النّحْوِيِّ، يَكْتَشِفُ أَنَّ الكتُبَ النّحْوِيَّةَ الَّتِيْ اِهْتَمَّتْ بِدِراسَةِ المواضيعِ النّحْوِيَّةِ، لا تَخْرُجُ عَنْ كَوْنِها تَتَبَنَّى أَحَدَ مناهِجِ التّأْليفِ الثَّلاثَةِ التّاليَةِ: المنْهَجُ الفِطْرِيُّ (الوَصْفِيُّ)، وَالمنْهَجُ العقْلِيُّ (الفلْسَفِيُّ)، وَالمنْهَجُ العلْمِيُّ الَّذِيْ تَكونُ المؤَلَّفاتُ فِيْ ظِلِّهِ حامِلَةً خَصائصَ تعْليميَّةً مُحَدَّدَةً، وَمنْها:

- عَدَمُ الإسْرافِ فِيْ التّقْسيماتِ وَالتّعْليلاتِ.
- البُعْدُ ما أَمْكَنَ عَنِ المسائلِ الخِلافِيَّةِ.
- عَدَمُ الاهْتِمامِ بِالأُصولِ.
- اِنْتِقاءُ التّخْريجاتِ مِنَ المذاهِبِ المخْتلِفَةِ ما كانَ منْها مُيَسَّرًا لِطالِبِ العلْمِ.
- الاِسْتغْناءُ عَنِ التَّعاريفِ الذِّهْنِيَّةِ (ذاتِ الطّابعِ التّجْريدِيِّ).

4. مُشْكلاتُ كتُبِ النّحْوِ، وَعُيوبُها (الجانِبُ التّطْبيقِيُّ)

إنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ يَجْلِبُ اِنْتِباهَ القارِىءِ وَهُو يَتَصَفَّحُ كتابًا فِيْ موْضوعٍ ما، هُوَ ما يُعْرَفُ بِالعتَبَةِ* بِحُكْمِ أَنَّها أَوَّلُ الأَمْرِ وَمَدْخلُهُ، يَقولُ معجب العدواني فِيْ هذا السِّياقِ: "تَتَجَلَّى العَتَباتُ بِوَصْفِها تلْكَ العلامَةَ الَّتِيْ تُحيلُ إلى واقِعٍ، إذْ تَحْطو عليْها مِنَ الخارِجِ إلى الدَّاخِلِ، وَهِيَ أَشْبَهُ بِعَتَبَةِ المنْزِلِ الَّتِيْ تَرْبِطُ الدَّاخِلَ بِالخارِجِ، وَتوطَأُ عنْدَ الدُّخولِ؛ هيَ المكانُ الَّذِيْ لا غِنًى عنْهُ لِلدَّاخِلِ إلى المنْزِلِ، فِيْ حينٍ لا يُمْكِنُ لِذلِكَ الدَّاخِلِ أَنْ يَطَأَ كُلَّ جَوانبِهِ حَتَّى يَثْبُتَ دُخولُهُ فيهِ"[22]. والحقيقَةُ تُقالُ، إنَّ عَتَباتِ الكتُبِ النّحْوِيَّةِ لَمْ تَنَلْ حظَّها الأَوْفى مِنَ الدَّرْسِ، وَالتّحْليلِ... فَعَتَبَةُ (الكتابِ) لِسيبَوَيْهِ خلَتْ مِنَ العُنْوانِ، وَالمدْخَلِ، وَالإهْداءِ. وَبِما أَنَّ العُنْوانَ يُنَزَّلُ مَنْزِلَةَ العَتَبَةِ الكُبْرى، فَهُوَ إذَنْ المِفْتاحُ الَّذِيْ يُوصِلُنا إلى الكِتابِ، فَوَجَبَ النَّظَرُ فيهِ مِنْ زَوايا كَثيرَةٍ، أَهَمُّها: الصِّياغَةُ، وَالحَجْمُ، وَالتَّفَرُّدُ، وَالملاءَمَةُ، وَالوُضوحُ، وَالتَّشْويقُ، وَالعُمومُ وَالخُصوصُ وَغَيْرُها...

وَالنّاظِرُ إلى بِنْيَةِ الكِتابِ النّحْوِيِّ، يَرى أَنَّ لِكُلِّ كتابٍ بِنْيَةً مُعَيَّنَةً تنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ اِثْنيْنِ، وَهُما: البِنْيَةُ الدَّاخِليَّةُ لِلْكِتابِ، وَالبِنْيَةُ الخارِجِيَّةُ لَهُ.

وَمِنَ العَناصِرِ المؤَلِّفَةِ لِلْبِنْيَةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلْكِتابِ، هيَ: عُنْصُرُ الجُزْءِ وَالكُلِّ، وَعُنْصُرُ العَلاقَةِ وَالقانونِ، وَعُنْصُرُ الوحْدَةِ وَالدَّلالَةِ.

1.4 عَناوينُ الكُتُبِ النّحْوِيَّةِ:

نُحاوِلُ بعْدَ العَرْضِ الموجَزِ لِلْعَناصِرِ المشَكِّلَةِ لِلْكِتابِ النّحْوِيِّ، أَنْ نقِفَ على بَعْضِ المآخِذِ المسَجَّلَةِ على بَعْضِ كتُبِ النُّحاةِ القُدامى، وَلْتَكُنِ اِنْطِلاقَتُنا مِنَ (الكتابِ) لِسيبَوَيْهِ –رحِمَهُ اللهُ– لِما أَحْدَثَتْهُ عَتَبَتُهُ مِنْ جَدَلٍ كبيرٍ فِيْ أَوْساطِ الباحِثينَ وَالدَّارِسينَ الَّذينَ ما اِدَّخَروا جهْدًا لِمعْرِفَةِ سِرِّ إطْلاقِ هَذا العُنْوانِ على كِتابِهِ، تَقولُ خديجةُ الحُديثي –رحِمَها اللهُ– فِيْ هَذا الصَّدَدِ: "اِخْتَصَّ بِهَذا الاِسْمِ مِنْ بيْنِ الكُتُبِ المؤَلَّفَةِ فِيْ النّحْوِ حَتَّى صارَ عَلَمًا علَيْهِ بَعْدَ موْتِهِ، فَلَمْ يُحاوِلْ أَحَدٌ مِنْ تلاميذِهِ بَعْدَهُ وَفيهِمُ الأَخْفَشُ الَّذِيْ كانَ حامِلَ الكِتابِ وَراويهِ، أَنْ يَضَعَ لَهُ اِسْمًا يُعْرَفُ بِهِ. وَأَبْقاهُ كَما تَرَكَهُ صاحِبُهُ كِتابًا مُنْفَرِدًا فِيْ هَذا العِلْمِ لا ثانِيَ لَهُ فِيْ عَصْرِهِ لِشُمولِهِ، وَاِتِّساعِهِ، وَأَهَمِّيَّتِهِ، فقَدْ أَعْجَلَتْهُ المنِيَّةُ عَنْ أَنْ يُفَكِّرَ فِيْ وَضْعِ اِسْمٍ لَهُ، فَذاعَ وَاِشْتَهَرَ بِاِسْمِ كِتابِ سيبَوَيْهِ أَوِ الكتابِ"[23]، مَعَ العلْمِ، أَنَّ تَسْمِيَّةَ الكُتُبِ فِيْ زَمانِ سيبَوَيْهِ كانَتْ شائعَةً وَمعْروفَةً، وَأَنَّ (الكتابَ) لَمْ

يَكُنْ أَقْدَمَ الكُتُبِ تأْليفًا، وَفِيْ هَذا السِّياقِ يَقولُ مُحَمَّدٌ عَبْدُ السّلامِ هارون: "إنَّ كتاب سيبَوَيْهِ، إنَّما هُوَ لِقاحُ جُهودِ النُّحاةِ الَّذينَ سَبَقوهُ؛ إذْ لاَ يُعْقَلُ أَنْ يَبْتَدِعَ سيبَوَيْهِ هَذا العلْمَ المتكامِلَ دونَ أَنْ يُفيدَ مِنْ تلْكَ الجُهودِ الأَصْلِيَّةِ الَّتِيْ رَسَمَتْ كَثيرًا مِنْ أُصولِ النّحْوِ، وَمَسائلِهِ، وَمَقاييسِهِ، وَعِلَلِهِ"[24].

أَمَّا عَنْ كتابِ (الخَصائصِ) لأَبِيْ الفَتْحِ عُثْمانَ بْنِ جِنِّيٍّ، وَإِنْ كانَ عُنْوانُهُ اِتَّسَمَ بِالاِخْتِصارِ، إلاَّ أَنَّهُ وَرَدَ غامِضًا؛ لأَنَّ مُؤَلِّفَهُ لَمْ يَكْشِفْ أَوْ لَمْ يُعْرِبْ مِنْ خِلالِهِ عَنِ الخَصائصِ الَّتِيْ تَكونُ مَحَلَّ الدِّراسَةِ فِيْ كِتابِهِ، وَهَذا ما يَشْعُرُ بِهِ القارىءُ، فَهُوَ لا يَصِلُ إلى معْرِفَةِ الهَدَفِ مِنْ وَضْعِ الخَصائصِ إلاَّ إذا قَرَأَهُ وَدَخلَهُ بِعُمْقٍ، وَاِكْتَنَهَ الحَقائقَ المبْثوثَةَ فِيْ ثَنايا صفْحاتِهِ.

2.4 مُقَدِّماتُ الكُتُبِ النّحْوِيَّةِ:

وَمثْلَما ذَكَرْنا آنِفًا، تُعَدُّ المقَدِّمَةُ مِنَ العَتَباتِ أَوِ النُّصوصِ الموازِيَةِ لِكتُبِ النّحْوِ، وَهِيَ مِساحَةٌ مِنَ الكِتابِ تَعْكِسُ تأَثُّرَ النّحْوِيِّينَ العرَبِ بِما عَرَفوهُ فِيْ التُّراثِ الإِسْلامِيِّ مِنْ أَساليبَ أَدَبِيَّةٍ تَنِمُّ عَنِ المنْهَجِ المتَّبَعِ، وَتَكْشِفُ عَنِ الدِّقَّةِ فِيْ التَّنْظيمِ. يَقولُ عبّاسُ أرحيلة: "إنَّ اِسْتِفْتاحَ الكُتُبِ بِمُقَدِّماتٍ سُلوكٌ إسْلامِيٌّ، وَقبْلَ ظُهورِ الإِسْلامِ كانَ الشُّعراءُ العرَبُ يَفْتَتِحونَ قَصائدَهُمْ بِمُقَدِّماتٍ وَمَطالِعَ يَتَذَكَّرونَ فيها بَقايا الدِّيارِ، وَيَبْكونَ على الرُّسومِ، وَالأَطْلالِ"[25]. وَعلَيْهِ، يبْدو واضِحًا مِنَ الكلامِ، أَنَّ المقَدِّماتِ وَالاِهْتِمامَ بِوَضْعِها وَصِياغَتِها أَمْرٌ مَعْروفٌ مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ، فَضْلاً عَمّا قَدَّمَهُ العُلماءُ مِنْ شُروحٍ وافِيَةٍ حوْلَها وَحوْلَ أَهَمِّيَّتِها فِيْ الكتُبِ النّحْوِيَّةِ وَغَيْرِها مِنَ الكُتُبِ، بِدليلِ أَنَّها صارَتْ مِنِ اِهْتِماماتِ النَّقْدِ الحديثِ "تَخْتلِفُ فِيْ التُّراثِ العَرَبِيِّ عَنِ النُّصوصِ الموازِيَةِ فِيْ الدِّراساتِ الحديثَةِ، فَالمقَدِّمَةُ تَنْتَمِيْ إلى مجالِ البَحْثِ، وَالتّصْنيفِ، وَلا مجالَ للإِبْداعِ، وَهِيَ لا تُشَكِّلُ نَصًّا مُوازِيًا مُسْتَقِلاً بِذَاتِهِ، بلْ هِيَ جُزْءٌ لا يَتَجَزَّأُ مِنَ الكتابِ، وَتُمَثِّلُ الرَّأْسَ مِنْ جَسَدِ الكتابِ"[26].

إنَّ الحديثَ عَنِ المقَدِّماتِ، يَفْتَحُ المجالَ أمامَ القَوْلِ بِوُجودِ نَوْعيْنِ مِنَ المقَدِّماتِ، وَهُما:

– المقَدِّماتُ المتَّصِلَةُ بِالنَّصِّ: وَالَّتِيْ لَها عَلاقَةٌ مُباشِرَةٌ بِمُحْتوى الدِّراسَةِ وَالتّحْليلِ، وَتُرَتَّبُ قبْلَ المضامينِ: "هِيَ الَّتِيْ تَسْبِقَ النّصَّ داخِلَ الكتابِ، وَلكِنَّها لا تُحْسَبُ ضِمْنَ أَبْوابِهِ لِطَبيعَتِها الخاصَّةِ كأَداةٍ تَمْهيدِيَّةٍ لِلنَّصِّ"[27].

– المقَدِّماتُ المنْفصِلَةُ عَنِ النَّصِّ: وهْيَ تلْكَ الَّتِيْ تَظْهَرُ فِيْ مُؤَلَّفٍ مُسْتَقِلٍّ، وَتُؤَدِّيْ وَظيفَةً أساسَةً حينَ تَرْتَبِطُ بِالتّقْديمِ وَالتّمْهيدِ لِمَضْمونٍ مُعيّنٍ لِكِتابٍ ما.

وَفِيْ العُمومِ، إنَّ لِلْمُقَدِّمَةِ فِيْ المؤَلَّفاتِ النّحْوِيَّةِ وغيْرِها، قيمَةً وَأَهَمِّيَّةً تَعْمَلُ على إبْرازِ الحَقائقِ والمعْلوماتِ الدَّقيقَةِ الَّتِيْ قَدْ يَعْجِزُ مَكَوِّنٌ مِنْ مُكَوِّناتِ نَصِّ الكتابِ عَنِ التّعْبيرِ عَنْها: "يُؤَدِّيْ التّقْديمُ إلى المعْرِفَةِ دَوْرًا أَساسيًّا وَجَوْهَرِيًّا بِكُلِّ المقاييسِ، سواءٌ فِيْ البُعْدِ العقْلِيِّ أَوِ النّفْسِيِّ الإدْراكِيِّ أوِ التّرْبوِيِّ أَوِ التّذَوُّقِيِّ الجَمالِيِّ"[28].

وَبالرُّغْمِ مِنْ أَنَّ (الكتابَ) اِحْتَلَّ الرِّيادَةَ بِاعْتِبارِهِ مُؤَلَّفًا ضَخْمًا مُحْكَمَ البِناءِ، حَوى كُلَّ ما تعلَّقَ بِالنّحْوِ العرَبِيِّ مِنْ شارِدَةٍ وَواردَةٍ، حَتَّى اِفْتَكَّ بِجَدارَةٍ وصْفَ (قُرْآنِ النَّحْوِ) أَوِ (القُرْآنِ الثّانِيْ)، إلاَّ أَنَّ القارىءَ يُفَاجَأُ بِغِيابِ المقَدِّمَةِ فَلاَ يَسْتطيعُ إثْباتَ وُجودِها أَوْ إنْكارِها، ثُمَّ إذا وُجِدَتْ فَكَيْفَ يَقْرَؤُها، وَمِنْ أَيِّ زاوِيَةٍ فِيْ ضَوْءِ المقَدِّمَةِ بِاعْتِبارِها مُتَصَوَّرًا نَظَرِيًّا مُحَدَّدَ الأَرْكانِ يُتَرْجَمُ فِيْ شَكْلٍ هَنْدَسِيٍّ مُتَكامِلٍ؟ ثُمَّ، هلْ تَوافَرَتْ فيها شُروطُ المقَدِّماتِ المعْهودَةِ؟ أَ لَيْسَ يَكونُ القارىءُ أَمامَ نَوْعٍ ثالِثٍ مِنَ المقَدِّماتِ فِيْ التُّراثِ العَرَبِيِّ الإِسْلامِيِّ؟ "تَجْدُرُ الإِشارَةُ إلى أَنَّ كتابَ سيبَوَيْهِ لَمْ يَكُنْ خِلْوًا مِنَ المقَدِّمَةِ، فَيَكونُ إدْراجُهُ فِيْ هَذا المقامِ عبَثًا مِنَ القَوْلِ؛ لَكِنَّ أَهَمِّيَّةَ إيرادِهِ تَنْبُعُ مِنِ اِحْتِوائِهِ على مُقَدِّمَةٍ مُمَيَّزَةٍ وَمُبْهَمَةٍ لَمْ تُعَنْوَنْ بِهَذا اللَّفْظِ أَوْ ما يُرادِفُهُ؛ لأَنَّها ذاتُ صِبْغَةٍ خاصَّةٍ بِها مِمَّا أَدَّى إلى تَشَعُّبِ الآراءِ حوْلَها بيْنَ مُنْكِرٍ لَها، وَمُثْبِتٍ"[29]. والرَّأْيُ نفْسُهُ نُطْلِقُهُ

على مُقَدِّمَةِ صاحِبِ (المُقْتَضبِ)، فَهُوَ الآخَرُ لَمْ يَضَعْ مُقَدِّمَةً واضِحَةَ المعالِمِ، إذْ يَقولُ: "هَذا تَفْسيرُ وُجوهِ العرَبِيَّةِ، وَإعْرابِ الأَسْماءِ وَالأَفْعالِ"[30].

3.4 خَصائصُ لُغَةِ التّأْليفِ النّحْويّ:

مِنْ أَوْكَدِ الأُمورِ وَأَثْبَتِها لَدَى جُمْهورِ الباحِثينَ وَالدَّراسينَ بِحُكْمِ اِطِّلاعِهِمْ على (الكِتابِ)، صُعُوبَةُ اللُّغَةِ الَّتِيْ كُتِبَ بِها فَضْلاً عَنِ الغُموضِ الَّذِيْ يُرافِقُ الحَقائقَ المَبْثوثَةَ فِيْ صَفْحاتِهِ، يَقولُ مُحَمَّدٌ عَبْدَ السّلامِ هارون: "لاَ رَيْبَ أَنَّ أُسْلوبَ الكاتِبِ فِيهِ كَثيرٌ مِنَ الغُموضِ، وَفِيْ ذلِكَ يَقولُ اِبْنُ كيسانَ: (نَظَرْنا فِيْ كِتابِ سيبَوَيْهِ فَوَجَدْناهُ فِيْ المَوْضِعِ الَّذِيْ يَسْتَحِقُّهُ، وَوَجَدْنا أَلْفاظَهُ تَحْتاجُ إلى عِبارَةٍ وَإيضاحٍ؛ لأَنَّهُ كِتابٌ أُلِّفَ فِيْ زَمانٍ كانَ أَهْلُهُ يَأْلَفونَ مِثْلَ هَذِهِ الأَلْفاظِ، فَاِخْتَصَرَ على مَذاهِبِهِمْ)"[31]. وَمَعَ ذلِكَ، يُعَدُّ (الكِتابُ) مِنْ أَرْقَى ما أُلِّفَ فِيْ زَمانِهِ، فقَدْ كَتَبَهُ صاحِبُهُ بِأُسْلوبٍ رَفيعٍ يَسْتَدْعِيْ مِنَ القارِىءِ القِراءاتِ المُتَتالِيَةَ، وَالجُهْدَ الكَبيرَ مِنْ أَجْلِ اِحْتِواءِ مَسائلِهِ، وَفَهْمِ مَضامِينِهِ: "يُعَدُّ أَوَّلَ وَثيقَةٍ نَحْوِيَّةٍ مُتكامِلَةٍ، وَعَلى دَرَجةٍ عَظيمَةٍ مِنَ النُّضْجِ وَالكَمالِ، وَلَكِنْ سيبَوَيْهِ لَمْ يَكُنْ أَوَّلَ مَنْ أَوْجَدَ هَذِهِ القَواعِدَ فِيْ النّحْوِ العرَبِيّ، بلْ لَمْ يَكُنْ أَوَّلَ مَنْ أَلَّفَ فِيْ النّحْوِ العَرَبِيّ"[32].

4.4 نِظامُ التّبْويبِ:

إذا اِنْطَلَقَ حديثُنا مِنْ كتابِ سيبَوَيْهِ، فَإنَّنا نُشيرُ إلى وُجودِ اِمْتِزاجٍ كَبيرٍ بَيْنَ المسائلِ النّحْوِيَّةِ وَالقَضايا الصّرْفِيَّةِ، ما يَجْعلُنا نؤَكِّدُ وُجودَ نوْعٍ مِنَ الاِضْطِرابِ فِيْ منْهَجِ التّبْويبِ، وَما يَعْضُدُ هذَا الرَّأْيَ هُوَ قوْلُ حسَن عَوْن: "بِأَنَّ منْهَجَ سيبَوَيْهِ أَصابَهُ الاِخْتِلالُ وَالاِضْطِرابُ فِيْ إطارِهِ العامّ فِيْ نَظَرِ المحْدَثينَ حِينَما وَجَدوا فِيْ القِسْمِ الخاصّ بِالصَّرْفِ وَمَسائلِهِ بَعْضَ القَضايا النّحْوِيَّةِ الَّتِيْ كانَ يَنْبَغِيْ أَنْ تُوضَعَ فِيْ القِسْمِ الأَوَّلِ، أَيْ: القِسْمُ الخاصُّ بِالنّحْوِ، وَذلِكَ مثْلُ بابِ القَسَمِ، وَبابُ المَمْنوعِ مِنَ الصَّرْفِ، إذْ أَنَّ هَذَيْنِ البابَيْنِ مَدْروسانِ ضِمْنَ أَبْوابِ النّحْوِ فِيْ المؤَلَّفاتِ النّحْوِيَّةِ الَّتِيْ جاءَتْ بَعْدَ سيبَوَيْهِ، وَهَذا مِنْ أَبْرَزِ دَواعِيْ النَّقْدِ وَالتّجْريحِ لِلَّذِينَ تَعَرَّضُوا لِلْبَحْثِ فِيْ مَنْهَجِ سيبَوَيْهِ"[33]، وَحَتَّى مَهْدِيْ المخْزومِيْ يَعْضُدُ هَذا الرَّأْيَ قائلاً: "إنَّ النّاظِرَ فِيْ كِتابِ سيبَوَيْهِ –أَقْدَمُ كِتابٍ وَصَلَ إلَيْنا– يَلْمَسُ بِوُضوحٍ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُرَتَّبًا على أَساسٍ منْطِقِيٍّ واضِحٍ، فَبَيْنا نَراهُ يَعْرِضُ فِيْ أَوَّلِ الكِتابِ: بابَ عِلْمِ ما الكلِمُ مِنَ العَرَبِيَّةِ، ثُمَّ بابَ الفاعِلِ الَّذِيْ يَتَعَدَّهُ فِعْلُهُ إلى مَفْعُولٍ، تَراهُ يَقْفِزُ إلى: بابِ ما يَنْتَصِبُ فِيْ الأَلِفِ، ثُمَّ فيما بَعْدُ إلى: بابِ الأَمْرِ وَالنّهْيِ... ثُمَّ بابٍ مِنَ المصادِرِ جَرى مَجْرى الفِعْلِ المضارِعِ فِيْ عَمَلِهِ... وَلا غَرابَةَ فِيْ ذلِكَ وَلا عَجَبَ، فَإنَّ التّأْليفَ كانَ فِيْ بِدايَةِ نُشوئِهِ، وَلَمْ تَكُنْ لِلْمُؤَلِّفينَ آنَذاكَ القُدْرَةُ على التّنْظيمِ، وَدِقَّةِ التّبْويبِ"[34]. وَحَتَّى كتابُ (المُقْتَضبِ) لَمْ يَسْلَمْ هُوَ الآخَرُ مِنَ النَّقْدِ وَالتّجْريحِ لِخَلْطٍ عَمَّ تَرْتيبَ أَبْوابِهِ، يَقولُ عبْدُ الفَتّاحِ إسْماعيلُ شلبِي: "فَنَرى الخَلْطَ عَيْنَهُ أَوْ شَبيهًا بِهِ إلى حَدٍّ كَبيرٍ، فَعَدَمُ التَّنْسيقِ وَالتَّرْتيبِ يَبْدو واضِحًا فِيهِ، إذْ بَعْدَ أَنْ يَذْكُرَ فِيْ أَوَّلِ الكتابِ بَابًا هُوَ: تَفْسيرُ وُجوهِ العرَبِيَّةِ وَإعْرابُ الأَسْماءِ وَالأَفْعالِ، نَراهُ يَعْرِضُ إلى الفاعِلِ، ثُمَّ إلى بابِ حُروفِ العَطْفِ، ثُمَّ يَعُودُ إلى بابٍ مِنْ مَسائلِ الفاعِلِ وَالمفْعولِ بِهِ..."[35].

5.4 ظاهِرَةُ الحَشْوِ فِيْ التّراكيبِ النّحْوِيَّةِ:

إذا كانتْ لفْظَةُ (الحَشْوِ) تَدُلُّ لُغَةً على فَضْلِ الكلامِ الَّذِيْ لاَ يُعْتَمَدُ عليْهِ، فَإنَّها فِيْ الاِصْطِلاحِ لاَ تُخالِفُ المعْنَى اللُّغَوِيَّ لَها، يَقولُ الجُرْجانِيُّ فِيْ تَعْرِيفِهِ: "عِبارَةٌ عَنِ الزّائدِ الَّذِيْ لاَ طائلَ تَحْتَهُ"[36]، وَمعْنَى هَذا أَنَّ الحَشْوَ يَأْتِيْ زائدًا لا جَدْوى مِنْ ذِكْرِهِ أَوْ حَشْوًا مُفيدًا يُعْتَدُّ بِهِ، وَهَذا ما أَشارَ إلَيْهِ الثّعالِبِيُّ فِيْ قَوْلِهِ: "العرَبُ، تُقيمُ حَشْوَ الكلامِ مَقامَ الصِّلَةِ وَالزِّيادَةِ، وَتُجْريهِ فِيْ نِظامِ الكلِمَةِ"[37]. وَقَدْ جَعلَهُ الثَّعالِبِيُّ ثلاثَةَ أَضْرُبٍ، هِيَ: رَديءٌ مَذْمومٌ، وَحسَنٌ لَطيفٌ، وَوسَطٌ بيْنَهُما. وَما نُشيرُ إلَيْهِ

فِيْ ورَقَتِنا البَحْثِيَّةِ، هُوَ الحشْوُ بِمعْنى الزَّائدِ وَالَّذِيْ يُعَدُّ عَيْبًا ظاهِرًا فِيْ التَّأْليفِ النّحْوِيّ، وَهُوَ أَكْثَرُ صُوَرِ الحَشْوِ وُرودًا فِيْ الكَلامِ، وَمِنْ أَمْثِلتِهِ: وُقوعُ (أَنْ) الزَّائدَةِ غيْرِ النَّاصِبَةِ حَشْوًا فِيْ الكلامِ، بِدليلِ أَنَّ حَذْفَها لا يُخِلُّ بِالكلامِ وَإِنْ كانتْ تُفيدُ توْكيدَهُ، فهِيَ حرْفٌ زائدٌ لا محَلَّ لَهُ مِنَ الإعْرابِ؛ وَمَواضِعُ زِيادَتِها كَثيرةٌ، منْها: (أَنْ) الَّتِيْ تَجيءُ بَعْدَ (لَمَّا) الحِينِيَّةِ، مثْلُ قَوْلِهِ تعالى: "فَلَمَّا أَنْ جاءَ البَشيرُ أَلْقاهُ على وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصيرًا"[38].

وَمِنْ أَنْواعِ الحشْوِ فِيْ التَّراكيبِ النّحْوِيَّةِ، نُشيرُ إلى:

1.5.4حَشْوُ الحرَكةِ: أَيْ العلامَةُ الإعْرابِيَّةُ لا حرَكاتُ حُروفِ الصِّيَغِ. فَالحرَكةُ الإعْرابِيَّةُ عنْدَ الكوفِيّينَ تَرِدُ حَشْوًا فِيْ إعْرابِ الأَسْماءِ السِّتَّةِ بِالحرَكاتِ وَالحُروفِ. وَمعْنى ذلِكَ، أَنَّ الحرَكاتِ تَكونُ حشْوًا على (الباءِ) المتوَسِّطَةِ فِيْ الاِسْمِ أَوْ تَكونُ حشْوًا بِمعْنى الإعْرابِ الزَّائدِ كوْنُ (الواوِ)، وَ(الأَلِفِ)، وَ(الياءِ) هيَ علاماتُ إعْرابٍ لِوُجودِها فِيْ آخِرِ الاِسْمِ. يقولُ أَبو البَرَكاتِ الأَنْبارِيُّ فِيْ حديثِهِ عَنِ اِسْتِدْلالِ الكوفِيّينَ: "وَالَّذِيْ يَدُلُّ على صِحَّةِ هَذا، تَغَيُّرُ الحرَكاتِ عَلى الباءِ فِيْ حالِ الرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَالجَرِّ، وَكذلِكَ الواوُ وَالأَلِفُ وَالياءُ بَعْدَ هَذِهِ الحَرَكاتِ تَجْرِيْ مَجْرى الحرَكاتِ فِيْ كوْنِها إعْرابًا، بِدليلِ أَنَّها تَتَغيَّرُ فِيْ حالِ الرَّفْعِ وَالنّصْبِ وَالجَرِّ، فَدَلَّ على أَنَّ الضَّمَّةَ وَالواوَ علامةٌ لِلرَّفْعِ، وَالفَتْحَةَ وَالأَلِفَ علامَةٌ لِلنَّصْبِ، وَالكَسْرَةَ وَالياءَ علامَةٌ لِلجَرِّ"[39].

2.3.4 حَشْوُ حرْفٍ: وَهُوَ أَكْثَرُ صُوَرِ الحشْوِ وُرودًا فِيْ اللُّغَةِ، وَيَكونُ الحرْفُ حشْوًا إذا كانَ فِيْ وسَطِ الكلِمَةِ؛ لأَنَّ القاعِدَةَ تَقولُ: ما لَمْ يَكُنِ الحرْفُ فِيْ بِنْيَةِ الكلِمَةِ أَوَّلاً فيها وَلا آخِرًا، فَهُوَ حشْوٌ. وَلِهَذا أَكَّدَ النّحْوِيُّونَ أَمْرَ حرَكةِ الإعْرابِ بِأَنْ تَكونَ فِيْ آخِرِ حرْفٍ مِنَ الكلِمَةِ. وَمثْلُ هَذا الحَشْوِ لا يَقْتَصِرُ على حُروفِ الصِّيَغِ، بلْ يَتَعَدَّاهُ إلى حرْفٍ مِنْ حُروفِ المعانِيْ، نحْوُ: (أَلِفُ) التَّكْسيرِ وَ(ياءُ) التّصْغيرِ، فَتقولُ: دِرْهَمٌ (دَراهِمُ، وَدُرَيْهِمٌ).

3.5.4 حشْوُ الكلِمَةِ: فَالعرَبُ نَصَبُوا الاِسْمَ على الاِخْتِصاصِ، فَقالوا: نَحْنُ –مَعْشَرَ العرَبِ–أُمَّةُ الشِّعْرِ، قالَ أَبو حَيّانٍ فِيْ هَذا السِّياقِ: "وَالمنْصوبُ علَى الاِخْتِصاصِ، لا يَجوزُ أَنْ يَتَقَدَّمَ على الضَّميرِ، إنَّما يَكونُ بَعْدَ الضَّميرِ حَشْوًا بيْنَهُ وَبيْنَ ما نُسِبَ إلَيْهِ"[40].

4.5.4 حشْوُ جُملَةٍ: وَنحْوُ ذلِكَ، ما أَوْرَدَهُ صاحِبُ (شَرْحِ المفَصَّلِ): "جاءَنِيْ الَّذِيْ إنْ تَزُرْهُ، يُحْسِنْ إلَيْكَ"[41]، إذْ يَقولُ: "وَأَكْثَرُ النّحْوِيّينَ يُسَمِّيْ هَذِهِ الجُملَةَ صِلَةً، وَسيبَوَيْهِ يُسَمِّيها حشْوًا. فَالصِّلَةُ مَصْدَرٌ كَالوَصْلِ مِنْ قَولِكَ: وَصَلْتُ الشَّيْءَ وَصْلاً وَصِلَةً. وَالمرادُ، أَنَّ الجُملَةَ وَصْلٌ لَهُ. فَأَمَّا تَسْمِيَةُ سيبَوَيْهِ لَها حشْوًا، فَمِنْ معْنى الزِّيادَةِ، أَيْ: أَنَّها ليْسَتْ أَصْلاً، وَإِنَّما هيَ زِيادَةٌ يُتَمَّمُ بِها الاِسْمُ"[42].

5.خاتِمَةٌ

تَبَيَّنَ لَنا مِمَّا عَرَضْناهُ فِيْ ورَقَتِنا البَحْثِيَّةِ، وَمِمَّا اِسْتَقْرَأْناهُ فِيْ بُطونِ بَعْضِ التَّآليفِ النّحْوِيَّةِ، أَنَّ النُّحاةَ أَدْرَكُوا قَديمًا أَنَّ التّطْويلَ، وَالتَّشْويشَ فِيْ تَرْتيبِ المادَّةِ النّحْوِيَّةِ، وَصُعُوبَةَ لُغَةِ التَّأْليفِ يُعَقِّدُ فَهْمَ النّحْوِ، وَيُنَفِّرُ المتعلِّمَ منْهُ، لِذَلِكَ أَقْبَلوا على تأْليفِ الكَثيرِ مِنَ الكُتُبِ المخْتَصَرَةِ وَفيهَا شَيْءٌ مِنَ الاِجْتِهادِ فِيْ تَبْويبِ النّحْوِ تَبْويبًا منْطِقِيًّا وَمنْهَجِيًّا. فَهَذا الجُرْجانِيُّ فِيْ كِتابِهِ (الجُمَلُ فِيْ النّحْوِ) يُصَرِّحُ بِالقَوْلِ إنَّهُ قامَ بِتَرْتيبِ الجُمَلِ تَرْتيبًا قَريبَ المتَناوَلِ، فالكِتابُ اِخْتِصارٌ لـ(العَوامِلِ المائةِ)، ظَهَرَ صَغيرًا فِيْ حَجْمِهِ؛ لَكِنَّهُ ضَمَّ الأُصُولَ لِيُسَهِّلَ حِفْظَها وَفَهْمَها. وَالشَّيْءُ نفْسُهُ فَعَلَهُ الأَنْبارِيُّ فِيْ (أَسْرارِ العرَبِيَّةِ)، حينَ أَكَّدَ خُلُوَّ كِتابِهِ مِنَ الإسْهابِ وَالتَّطْويلِ، فَضْلاً عَمَّا فَعَلَهُ اِبْنُ عُصْفورٍ هُوَ الآخَرُ فِيْ (المقَرِّبِ)، لا لِشَيْءٍ إلاَّ لِيُقَرِّبَ النّحْوَ إلى أَذْهانِ الدَّارِسينَ بِسُهولَةِ لُغَةِ التَّأْليفِ، وَإِحْكامِ تَرْتيبِ الأَبْوابِ... أَ ليْسَتْ هَذِهِ العَيِّناتُ مُنْطَلَقًا لِعَرْضِ مُساءلاتٍ

نَقْدِيَّةٍ حَوْلَ الاِعْتِرافِ الضِّمْنِيِّ لَدَى النُّحاةِ العرَبِ أنَّ لِلتَّأْليفِ النّحْوِيِّ عُيوبًا كَثيرَةً، أَبْرَزُها ثلاثَةٌ، هيَ: التّطْويلُ، وَاضْطِرابُ التّبْويبِ، وَالتّعْقيدُ اللُّغَوِيُّ؟

6- الهوامش:

1 – اِبْنُ منْظورٍ (جمالُ الدّينِ بْنُ مكرمٍ). **لِسانُ العَرَبِ**. دارُ صادِر. بَيْروتُ/لُبْنانُ. ط1. مج1. 1997م. ص269.

2– الكُوفِي (موسَى الحُسَيْنِيْ). **الكُلِّيّاتُ (مُعْجَمٌ فِيْ المُصْطَلَحاتِ، وَالفُروقِ اللُّغَوِيَّةِ)**. قَابلَهُ على نُسْخَةٍ خَطِّيَّةٍ، وَأَعَدَّهُ لِلطَّبْعِ، وَوَضَعَ فَهارِسَهُ "عَدْنان دَرْويش"، و" مُحَمَّدُ المِصْرِيُّ". مؤَسَّسَةُ الرِّسالَةِ. بَيْروتُ/لُبْنانُ. ط2. 1998م. ص249.

3– مُحَمَّدٌ إبْراهيمُ عبادَة. **النّحْوُ التّعْليمِيُّ فِيْ التُّراثِ العرَبِيّ**. مَنْشَأَةُ المعارِفِ. الإسْكَنْدَرِيَّةُ/(ج.م.ع). (د.ط). (د.ت). ص24.

4–نفسه.

5– نُورا حسَن قاسِم. **المَنْهَجُ الوَصْفِيُّ فِيْ كِتابِ سيبَوَيْهِ**. منْشوراتُ جامِعَةِ قارْيونس. بَنْغازِيْ/ليبْيا. ط1. 1996م. ص62.

6– حسَن خميس الملخ. **رُؤًى لِسانِيَّةٌ فِيْ نَظَرِيَّةِ النّحْوِ العرَبِيّ**. دارُ الشُّروقِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزيعِ. القاهرَةُ/(ج.م.ع). 2007م. ص228.

7–كمَال عرَفاتْ نَبْهانْ. **عَبْقَرِيَّةُ التّأْليفِ العرَبِيّ، علاقاتُ النُّصوصِ وَالاِتّصالُ العلْمِيُّ**. مجلَّةُ الوَعْيِ الإسْلامِيّ. الكُويتْ. 2015م. ص36.

8–رَؤوفْ شبايك. **أنْشُرْ كتابَكَ بِنفْسِكَ عبْرَ إنْتَرْنتْ، الرِّحلَةُ مِنَ الفِكْرِ إلى الكتابِ، وَالتّأْليفِ، وَالنّشْرِالحُرّ**. دارُ أجْيالٍ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزيعِ. الأرْدُنْ/(م.هـ.أ). ط1. 2009م. ص11.

9– مَحْمود سليْمان ياقوت. **مَصادِرُ التُّراثِ النّحْوِيّ**. دارُ المعْرِفَةِ الجامعِيَّة. الإسْكَنْدَرِيَّةُ/(ج.م.ع). (د.ط). 2003م. ص61.

10–نفسه.

11–نفسه.

12–نفسه.

13– نفسه، ص62.

14–نفسه، ص67–70.

15–مُحَمَّدٌ بْنُ سَلاَّمٍ الجُمَحِيّ. **طَبقاتُ فُحولِ الشُّعَراءِ**. شَرَحَهُ "مَحْمود شاكِر". دارُ المدنيّ. جدَّةُ/(م.ع.س). (د.ط). ج1. (د.ت). ص12.

أبو الطَّيِّبِ عبْدُ الواحِدِ بْنُ عليٍّ (اللُّغَوِيُّ الحلْبِيُّ). **مراتِبُ النّحْوِيّينَ**. تحق "مُحَمَّدٌ أبو الفَضْلِ إبْراهيم"". مكتبَةُ نَهْضَةِ مِصْرَ وَمطْبعتُها. الفجالَة/القاهرَةُ (ج.م.ع). 2019م. ص20.

16–نفسه.

17–أبو الطَّيِّبِ عبْدُ الواحِدِ بْنُ عليٍّ (اللُّغَوِيُّ الحلْبِيُّ). **مراتِبُ النّحْوِيّينَ**. تحق "مُحَمَّدٌ أبو الفَضْلِ إبْراهيم"". مكتبَةُ نَهْضَةِ مِصْرَ وَمطْبعتُها. الفجالَة/القاهرَةُ (ج.م.ع). 2019م. ص20.

18–كريمْ حُسَيْن ناصِح الخالدي. **مناهِجُ التّأْليفِ النّحْوِيّ**. دارُ صَفاء. عمان/الأرْدُن. ط1. 2007م. ص12.

*–تَضُمُّ عَتَبَةُ الكتابِ المصْنوعِ (المؤَلَّفِ): العُنْوانَ، وَالإهْداءَ، وَالمدْخَلَ، وَالتَّمْهيدَ، وَالمقَدِّمَةَ، وَيُشَكِّلُ مَجْموعُ هَذِهِ العَناصِرِ صَدْرَ الكِتابِ. وَيُنَزَّلُ (العُنْوانُ) لِأيّ كتابٍ مَنْزِلَةَ العَتَبَةِ الكُبْرى، أمَّا العَناصِرُ الَّتِيْ تَليهِ فَإنَّها تُنَزَّلُ منْزِلَةَ العَتَباتِ الموَزِيَة.

19–نفسه، ص16.

20–نفسه، ص17.

21–معجب العدوانيْ. **تَشْكيلُ المكانِ، وَظِلالُ العَتَباتِ**. النَّادِيْ الأَدَبِيُّ. جَدَّة/(م.ع.س). 2003م. ص07.

22–خَديجَة الحُديثي. **المَدارِسُ النّحْوِيَّةُ**. دارُ الأَمَلِ. اِرْبِد/الأرْدُنْ. ط3 (مُدَقَّقَةٌ وَمُنَقَّحَةٌ). 2001م. ص80.

23–مُحَمَّدٌ عَبْدُ السّلامِ هارون. **مُقدِّمَةُ تَحْقيقِ (الكتابِ)**. ج1. ص25–26.

24حسَن المودن. **قِراءَةٌ فِيْ كتابِ–مُقَدِّمَةُ الكتابِ فِيْ التُّراثِ الإسْلامِيّ لِعبّاس أرحيلة**. مؤْقِعُ الكاتِبِ، وَالمفَكِّرِ المغْرِبِيّ (صَفْحة: عبّاس أرحيلة). ص08.

25–رشيدْ أعرضي (مُدَوَّنَةُ الباحِثِ). **البلاغَةُ وَالنّقْدُ**. قِراءَةٌ فِيْ كتابِ–مُقَدِّمَةُ الكتابِ فِيْ التُّراثِ الإسْلامِيّ، وَهاجِسُ الإبْداعِ (صَفْحة: عبّاس أرحيلة). ص12.

26-كمال عرفات نبهان. **عَبْقَرِيَّةُ التَّأْلِيفِ العَرَبِيّ**. ص177.
27-نفسه، ص169.
28- مَجَلَّةُ (مَعارِجُ). **مُقَدِّمَةُ كتابِ سيبَوَيْهِ بيْنَ الإثْباتِ وَالإنْكارِ**. ص03.
29- المبَرّد (مُحَمَّدٌ بْنُ يَزِيدَ). **المُقْتَضبُ** (مِنَ المُقَدِّمَةِ المحَقَّقَةِ). ص68.
30- مُحَمَّدٌ عبْدُ السَّلامِ هارون. **مُقَدِمَّةُ تَحْقِيقِ (الكتابِ)**. ج1. ص31.
31- عبْدُ الجليلِ مُرْتاض. **بَوادِرُ الحرَكةِ اللِّسانيَّةِ الأُولى عنْدَ العرَبِ**. مُؤسَّسَةُ الأَشْرَف. بَيْروتُ/لُبْنانُ. ط1. 1988م. ص101.
32- حَسَن عَوْن. **تَطَوُّرُ الدَّرْسِ النّحْوِيّ**. مَعْهَدُ البُحوثِ وَالدِّراساتِ العرَبِيَّةِ. مِصْرُ/(ج.م.ع). ط1. 1970م. ص56.
33- مَهْدِيْ المخْزومِي. **الخليلُ بْنُ أَحْمَدَ الفَراهيدِيّ، أعْمالُهُ ومنْهَجُهُ**. مَطْبَعَةُ الزَّهْراءِ. عُمان/الأُرْدُنْ. (د.ط). 2015م. ص222.
34-عبْدُ الفَتّاح إسْماعيلُ شَلبِي. **كِتابُ أَبو عليٍّ الفارِسِيُّ، حَياتُهُ وَمَكانتُهُ بيْنَ أَئِمَّةِ التَّفْسيرِ العَرَبيَّة، وَآثارُهُ فِيْ القِراءاتِ وَالنّحْوِ**. دارُ المطْبوعاتِ الحديثَةُ. جدَّة/(م.ع.س). 1989م. ص519.
35-الجُرْجانِيُّ (عليٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ). **التّعْريفاتُ**. تحق"جماعَةٌ مِنَ العُلماءِ بِإشْرافِ النَّاشِرِ". دارُ الكتُبِ العلْمِيَّة. بيْروتُ/لُبْنانُ. ط1. 1983م. ص118.
36-الثَّعالِبِيُّ (أَبو منْصورٍ عبْدُ المالِكِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ إسْماعيلَ). **فِقْهُ اللُّغَةِ، وَسِرُّ العرَبِيَّةِ**. تحق"عبْدُ الرَّزّاقِ المهْدِي". دارُ إحْياءِ التُّراثِ العرَبِيّ. بيْروتُ/لُبْنانُ. ط1. 2002م. ص1398.
37- سُورَةُ: **يوسُفَ**. الآيَةُ96.
38- الأَنْبارِيُّ (أَبو البَرَكاتِ كمالُ الدِّينِ عبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ مُحَمَّدٍ). **الإنْصافُ فِيْ مَسائلِ الخِلافِ بيْنَ النّحْوِيّينَ البصْرِيّينَ وَالكوفِيّينَ**. المكْتبَةُ العَصْرِيَّةُ. بيْروتُ/لُبْنانُ. ط1. ج1. 2003م. ص19.
39- أَبو حَيَّانٍ الأَنْدَلُسِيُّ (مُحَمَّدٌ بْنُ يوسُفَ بْنُ عليٍّ بْنُ يوسُفَ). **اِرْتِشافُ الضَّرَبِ مِنْ لِسانِ العرَبِ**. تحقيق وَشرْحُ وَدراسَةُ"رَجَبْ عُثْمانُ مُحَمَّد". مُراجعَةُ"رَمَضانُ عبْدِ التَّوَّابِ". مَكْتبَةُ الخانْجِيْ. القاهرَةُ/(ج.م.ع). ط1. ج5. 1998م. ص2349.
40- اِبْنُ يعيش (يعيشُ بْنُ عليٍّ اِبْنُ أَبِيْ السَّرايا مُحَمَّدٌ بْنُ عليٍّ، أَبو البَقاءِ موَفَّقُ الدِّينِ الأَسْدِيُّ الموصِلِيُّ). **شَرْحُ المُفَصَّلِ**. تَقْديم"إميلْ بَديع يَعْقوب". دارُ الكتُبِ العلْمِيَّة. بيْروتُ/لُبْنانُ. ط1. ج2. 2001م. ص390.
41-نفسه.
42-نفسه.

6.المَصادِرِ وَالمَراجِعِ

1-اِبْنُ منْظورٍ (جمالُ الدِّينِ بْنُ مكرمٍ). **لِسانُ العَرَبِ**. دارُ صادِر. بَيْروتُ/لُبْنانُ. ط1. مج1. 1997م.
2-اِبْنُ يعيش (يعيشُ بْنُ عليٍّ اِبْنُ أَبِيْ السَّرايا مُحَمَّدٌ بْنُ عليٍّ، أَبو البَقاءِ موَفَّقُ الدِّينِ الأَسْدِيُّ الموصِلِيُّ). **شَرْحُ المُفَصَّلِ**. تَقْديم"إميلْ بَديع يَعْقوب". دارُ الكتُبِ العلْمِيَّة. بيْروتُ/لُبْنانُ. ط1. ج2. 2001م.
3-الأَنْبارِيُّ (أَبو البَرَكاتِ كمالُ الدِّينِ عبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ مُحَمَّدٍ). **الإنْصافُ فِيْ مَسائلِ الخِلافِ بيْنَ النّحْوِيّينَ البصْرِيّينَ وَالكوفِيّينَ**. المكْتبَةُ العَصْرِيَّةُ. بيْروتُ/لُبْنانُ. ط1. ج1. 2003م.
4-الثَّعالِبِيُّ (أَبو منْصورٍ عبْدُ المالِكِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ إسْماعيلَ). **فِقْهُ اللُّغَةِ، وَسِرُّ العرَبِيَّةِ**. تحق"عبْدُ الرَّزّاقِ المهْدِي". دارُ إحْياءِ التُّراثِ العرَبِيّ. بيْروتُ/لُبْنانُ. ط1. 2002م.
5-الجُرْجانِيُّ (عليٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ). **التّعْريفاتُ**. تحق"جماعَةٌ مِنَ العُلماءِ بِإشْرافِ النَّاشِرِ". دارُ الكتُبِ العلْمِيَّة. بيْروتُ/لُبْنانُ. ط1. 1983م.
6-الكوفِي (موسَى الحُسَيْنِيْ). **الكُلِّيّاتُ (مُعْجَمٌ فِيْ المُصْطَلَحاتِ، وَالفُروقِ اللُّغَوِيَّةِ)**. قَابلَهُ على نُسْخَةٍ خَطِّيَّةٍ، وَأَعَدَّهُ لِلطَّبْعِ، وَوَضَعَ فَهارِسَهُ "عَدْنان دَرْويش"، و" مُحَمَّدُ المِصْرِيُّ". مؤَسَّسَةُ الرِّسالَةِ. بَيْروتُ/لُبْنانُ. ط2. 1998م.

7-المبَرّد (مُحَمَّدُ بْنُ يَزيدَ). **المُقْتَضبُ** (مِنَ المقَدّمَةِ المحَقَّقَةِ).

8-أبو الطَّيِّبِ عبْدُ الواحِدِ بْنُ عليٍّ (اللُّغَويُّ الحلْبِيُّ). **مراتِبُ النّحْوِيّينَ**. تحق "مُحَمَّدٌ أبو الفَضْلِ إبْراهيم"". مكتبَةُ نَهْضَةِ مِصْرَ ومَطْبعتُها. الفجالَة/القاهرَةُ (ج.م.ع). 2019م.

9-أَبو حَيَّانٍ الأَنْدَلُسِيُّ (مُحَمَّدٌ بْنُ يوسُفَ بْنُ عليٍّ بْنُ يوسُفَ). **اِرْتِشافُ الضَّرَبِ مِنْ لِسانِ العرَبِ**. تحقيق وَشرْحُ وَدراسَةُ"رَجَبْ عُثْمانُ مُحَمَّد". مُراجعَةُ"رَمَضانُ عبْدِ التَّوّابِ". مَكْتبَةُ الخانْجِيْ. القاهرَةُ/(ج.م.ع). ط1. ج5. 1998م.

10-حسَن المودن. **قِراءَةٌ فِيْ كتابِ-مُقَدّمَةُ الكتابِ فِيْ التُّراثِ الإسْلامِيّ لِعبّاس أرحيلة**. مَوْقِعُ الكاتِبِ، وَالمفَكّرِ المغْرِبِيّ (صَفْحة: عبّاس أرحيلة).

11-حسَن خميس الملخ. **رُؤًى لِسانيَّةٌ فِيْ نَظَرِيَّةِ النّحْوِ العرَبِيّ**. دارُ الشُّروقِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزيعِ. القاهرَةُ/(ج.م.ع). 2007م.

12-حَسَن عَوْن. **تَطَوُّرُ الدَّرْسِ النّحْوِيّ**. مَعْهَدُ البُحوثِ وَالدِّراساتِ العرَبِيَّةِ. مِصْرُ/(ج.م.ع). ط1. 1970م.

13-خَديجَة الحُديثي. **المَدارِسُ النّحْوِيَّةُ**. دارُ الأَمَلِ. اِرْبِد/الأرْدُنْ. ط3 (مُدَقَّقَةٌ وَمُنَقَّحَةٌ). 2001م.

14-رَؤوفْ شبايك. **أُنْشُرْ كتابَكَ بِنفْسِكَ عبْرَ إنْتَرْنتْ، الرِّحلَةُ مِنَ الفِكْرِ إلى الكتابِ، وَالتّأْليفِ، وَالنّشْرِالحُرّ**. دارُ أجْيالٍ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزيعِ. الأرْدُنْ/(م.هـ.أ). ط1. 2009م.

15-رشيدْ أعرضي (مُدَوَّنَةُ الباحِثِ). **البلاغَةُ وَالنّقْدُ**. قِراءَةٌ فِيْ كتابِ-مُقَدّمَةُ الكتابِ فِيْ التُّراثِ الإسْلامِيّ، وَهاجِسُ الإبْداعِ (صَفْحة: عبّاس أرحيلة).

16-عبْدُ الجليلِ مُرْتاض. **بَوادِرُ الحرَكةِ اللّسانيَّةِ الأُولى عنْدَ العرَبِ**. مُؤسَّسَةُ الأَشْرَف. بَيْروتُ/لُبْنانُ. ط1. 1988م.

17-عبْدُ الفَتّاح إسْماعيلُ شَلبي. **كِتابُ أَبو عليٍّ الفارِسِيُّ، حَياتُهُ وَمَكانتُهُ بيْنَ أَئِمَّةِ التَّفْسيرِ العَربيَّة، وَآثارُهُ فِيْ القِراءاتِ وَالنّحْوِ**. دارُ المطْبوعاتِ الحديثَةُ. جدَّة/(م.ع.س). 1989م.

18-كريمْ حُسَيْن ناصِح الخالدي. **مناهِجُ التّأْليفِ النّحْوِيّ**. دارُ صَفاء. عمان/الأرْدُن. ط1. 2007م.

19-كمَال عرَفاتْ نَبْهانْ. **عَبْقَرِيَّةُ التّأْليفِ العرَبِيّ، علاقاتُ النُّصوصِ وَالاِتّصالُ العلْمِيُّ**. مجلَّةُ الوَعْيِ الإسْلامِيّ. الكُويتْ. 2015م.

20-مُحَمَّدٌ بْنُ سَلاَّمٍ الجُمَحِيّ. **طَبقاتُ فُحولِ الشُّعَراءِ**. شَرَحَهُ "مَحْمود شاكِر". دارُ المدنيّ. جدَّةُ/(م.ع.س). (د.ط). ج1. (د.ت).

21-مُحَمَّدٌ عَبْدُ السّلامِ هارون. **مُقدّمَةُ تَحْقيقِ (الكتابِ)**. ج1.

22-مُحَمَّدٌ إبْراهيمُ عبادَة. **النّحْوُ التّعْليمِيُّ فِيْ التُّراثِ العرَبِيّ**. مَنْشَأَةُ المعارِفِ. الإسْكَنْدَرِيَّةُ/(ج.م.ع). (د.ط). (د.ت).

23-مَحْمود سليْمان ياقوت. **مَصادِرُ التُّراثِ النّحْوِيّ**. دارُ المعْرِفَةِ الجامعِيَّة. الإسْكَنْدَرِيَّةُ/(ج.م.ع). (د.ط). 2003م.

24-معجب العدوانيْ. **تَشْكيلُ المكانِ، وَظِلالُ العَتَباتِ**. النَّادِيْ الأَدَبِيُّ. جَدَّة/(م.ع.س). 2003م.

25-مَهْدِيْ المخْزومِي. **الخليلُ بْنُ أَحْمَدَ الفَراهيدِيّ، أعْمالُهُ ومنْهَجُهُ**. مَطْبَعَةُ الزَّهْراءِ. عُمان/الأُرْدُنْ. (د.ط). 2015م.

26-نُورا حسَن قاسِم. **المَنْهَجُ الوَصْفِيُّ فِيْ كِتابِ سيبَوَيْهِ**. منْشوراتُ جامِعَةِ قارْيونس. بَنْغازِيْ/ليبْيا. ط1. 1996م.